المحبة عند الخرقاني

د.نجاة سعد أحمد

مدرس الفلسفة بكلية الآداب–جامعة المنيا

ملخص:

لا يزال التصوف– بوصفه جانباً مهماً من جوانب الفلسفة الإسلامية نما وتطور على مر الزمن– بحاجة إلى تضافر جهود الباحثين والمتخصصين تبيناً لحقائقه وأسراره بما انطوى عليه من قضايا؛ ومن ثم جاءت هذه الدراسة للكشف عن معنى المحبة وما ارتبط به من مسائل عند الخرقاني، وقد انتهت الدراسة إلى أهمية المحبة عند الخرقاني كركيزة أساسية أقام عليها تجربته الصوفية منذ البدء، وهي تقوده بالضرورة إلى توكيد التوحيد. كما تبدت أهمية الفناء عند الخرقاني حين جعله ضرورة لكمال المحبة، وعلامة من علامات المحبين، لكنه رغم ذلك وسيلة وليس غاية في ذاته، وقد توثقت الصلة عنده بين المحبة من جهة والفناء والمعرفة من جهة ثانية في علاقة ثلاثية متداخلة فالعارف بالله هو من احترق بنار شوقه حتي صاركالرماد، فهبت ريح المحبة عليه فسمع وذاق وعرف. وقد انتهجت في هذه الدراسة المنهج التحليلي المقارن.

الكلمات المفتاحية: التصوف– المحبة– الزهد– المعرفة– الفناء.

المقدمة:

قد لا يكون من قبيل الإسراف إذا قلنا إن التصوف الإسلامي كان ولا زال محط أنظار الباحثين على اختلاف مشاربهم في الداخل والخارج على حد سواء، فقد تناولته الأقلام منها المؤيد والمعارض، وما بين هذا وذاك لم يعدم التصوف ورجاله يوماً الاهتمام بالبحث والتدقيق من جانب أهل الفكر وعلماء الدين على حد سواء.

بل لقد زاد الانشغال به في الوقت الحالي أكثر مما مضى بعد توغل الحضارة المعاصرة بماديتها المفرطة التي طغت على السطح فأهملت الإنسان في جانبه الروحاني، وأفقدته اليقين والطمأنينة والسلام والمحبة والتسامح والصفاء مع أنه في أمس الحاجة إلى هذه المعاني السامية وما تنطوي عليه من دلالات لها أثرها الإيجابي في تيسير شئون حياته، وإعادة تنظيم علاقاته مع الحق والخلق.

(ISSN: 2536 - 9555)

لأجل ذلك دعت الحاجة إلى الاهتمام برجال التصوف الإسلامي، وإلقاء الضوء عليهم، وقد وقع اختياري على شخصية الخرقاني إذ يعد شخصية معروفة وغير معروفة في الوقت ذاته، فإذا توجهنا إلى أمهات كتب التراجم الصوفية الكبرى وجدنا الخرقاني يتصدر المشهد بجدارة عن تقدير وإجلال من جانب بعض شيوخ الصوفية الكبار، وفي مقدمتهم شيخه الروحي أبي يزيد البسطامي (ت: ٢٦١ هجرية) فقد بشر بقدومه قبل مولده بسنوات عديدة على سبيل الكرامة، وجعله سابقاً عليه في العلو والمقام بثلاث درجات، وهوما لم يتحقق لغيره من شيوخ أهل الذوق من قبله بالإضافة إلى الهجويري (ت:٤٦٥ هجرية) وفريد الدين العطار (ت:٦١٨ هجرية) وجلال الدين الرومي (ت:٦٧٢ هجرية)، وغيرهم، فقد كثرت حوله وكراماته الأقاويل حتى لتظن أننا أمام نقف شخصية أسطورية لم يكن لها وجود حقيقي يوماً.

ومن ناحية أخرى نجد بعض الترجمات الأخرى قد أغفلت ذكره تماماً كما هو الحال عند القشيري (ت:٤٦٥هجرية) على سبيل المثال في رسالته القشيرية، فبالرغم من أنه معاصر للخرقاني بل لقد التقاه كما جاء في كتب التراجم وشهد له يعلو المقام والحال، حتى قاله عنه" انتهت فصاحتي وزالت عبارتي من حشمة ذلك الشيخ"[١]. ومع ذلك لا نكاد نجد له ذكراً في ترجمته كما فعل مع غيره من رجال التصوف الآخرين.

هذا عن أسباب اختيار شخصية الدراسة، أما عن اقترانها بفكرة المحبة الإلهية على وجه الخصوص، فله أيضاً ما يبرره، إذ اكتسبت المحبة بوجه عام أهمية كبيرة لدى عموم شيوخ الصوفية، حتى إننا لا نكاد نجد من لم يتحدث فيها ويوليها عنايته الفائقة، ولا أدل على ذلك من أن الغزالي (ت:٥٠٥هجرية) عد المحبة الغاية القصوى من المقامات كلها، حتى ذهب إلى أن كل ما بعدها هو من ثمرتها، وما كان قبلها فهو من مقدماتها.

وقد اكتسبت المحبة وما ارتبط بها من مسائل عناية خاصة لدى الخرقاني فهي مفتاح تجربته الروحية من بدايتها إلى نهايتها، ولها خصوصيتها وثرائها في آن واحد.

بناء على ذلك جاءت هذه الدراسة في محاولة للإجابة عن عدة تساؤلات هي:-

- من هو الخرقاني؟
- ما هو تصور الخرقاني للعلاقة بين الشريعة والحقيقة، وهل انعكس بدوره علي تصوره للمحبة ؟
- ما مفهوم المحبة وهل هي مقام أم حال عند الخرقاني؟
- ما هو الطريق إلى المحبة عند الخرقاني؟
- ما أوصاف المحبين؟
- ما الصلة بين المحبة والولاية؟
- ما موقف الخرقاني من الكرامة؟
- هل ارتبطت المحبة بالسلوك عنده؟
- ما المقصود بالفناء عند الخرقاني؟
- ما علاقة المحبة بالفناء والمعرفة؟
- ما علاقة المحبة بالمعرفة عند الخرقاني؟
- أيهما أسبق عند الخرقاني المحبة أم المعرفة؟
- ما طبيعة المعرفة وأداتها عند الخرقاني؟
- ما هي أوصاف المتحققين بالمعرفة؟

من هنا جاءت هذه الدراسة على النحو التالي:-

- مقدمة.
- الخرقاني اسمه ولقبه.
- الشريعة والحقيقة.
- مفهوم المحبة عند الخرقاني.
- الطريق إلى المحبة عند الخرقاني.
- أوصاف المحبين.
- المحبة والولاية.
- المحبة والسلوك.
- المحبة والفناء.
- المحبة والمعرفة.
- النتائج.

(ISSN: 2536 - 9555)

وقد نهجت في هذا البحث على المنهج التحليلي المقارن والنقدي، وذلك لرصد وشرح وتوضيح أفكار الخرقاني، وتحليلها بقدر ما تسمح به النصوص دون تزيد مني أو تحميل للنصوص أكثر مما تحتمل، كما حرصت على الكشف عن علاقات التأثير والتأثر بين الشخصيات كلما دعت الضرورة لذلك.

اسمه ولقبه:

هو أبو الحسن علي بن أحمد الخرقاني (٣٥١:٤٢٥هجرية)، الصوفي الزاهد، لقب بالخرقاني نسبة إلى قرية خرقان بفتح أوله، وتسكين ثانية، وقاف وآخره نون؛ وهي قرية من قرى بسطام علي طريق استراباذ، قيل فيها خرقان اسم قرية، وهي في سفح جبل كبيرة، كثيرة الخير، ذات أشجار ومياه جارية وفواكه حسنة[٢].

عاش الخرقاني في القرنين الرابع والخامس الهجريين، وتوفي سنة أربعمائة وخمس وعشرين، عن عمر ناهز أربعة وسبعين عاماً. شهد له من عرفه من صوفية عصره وفلاسفته، فهو "سلطان المشايخ، وقطب الأوتاد والأبدال، ومقتدى أهل الطريقة والحقيقة، متمكناً في أحواله متعيناً بالمعرفة"[٣].

كان فريداً في حاله، تحقق له مالم يصل إليه غيره من أهل الطريقة، فهو كما أظن الصوفي الوحيد الذي بشر بقدومه قبل مولده بسنوات طويلة، وكان ذلك بشارة من الشيخ أبي يزيد البسطامي، الذي تحدث عن مولده وأمارات صورته وسيرته بتفاصيل في غاية الدقة، كتبها المؤرخون كما يقول سلطان العاشقين جلال الدين الرومي ترصداً وانتظاراً له، حيث نزل أبي يزيد وأصحابه في زيارة إلى خرقان، وفجأة هبت عليه ريح طيبة، جعلت الألوان تتعاقب على وجه البسطامي، أحمر وأصفر وأبيض، وهو يتنسم عبيرها مخموراً بلا زهر، صامتاً بلا كلم، فلما سأله من معه عما هو فيه، أجاب: "من هذه الناحية يهب شذى حبيب يقول: "إن سلطاناً عظيماً سوف يولد في تلك القرية"[٤].

فإذا كان الخرقاني واحداً من أهل التصوف والعرفان ووصل إلى هذه المرتبة الشريفة بين أهل الذوق، وقد عرف عن الصوفية بوجه عام تأكيدهم على ضرورة الإلتزام بالشريعة وأحكامها فلا يخرج الصوفي عن حق ممن له قدم صدق في الطريق عن الأمر والنهي الشرعيين بجانب الحقيقة أو علومهم اللدنية، فهل لزم الخرقاني هذا التوجه العام في تصوره للعلاقة بين الشريعة والحقيقة، أم خرج عليهم

فزلت قدمه وفرط في التكاليف االشرعية وناله التراخي والفتورفي الأحكام والسلوك، وكيف انعكس ذلك على تصوره لمفهوم المحبة؟

الشريعة والحقيقة:-

كان الخرقاني واحداً من الصوفية الرمزيين، فجمع بين تحصيل أحكام الشريعة والعبادات المفروضة من جهة معناها الباطن وأحكامها الروحية المقدمة عنده من جهة أخرى، وهو ما نستدل عليه بقوله: "للعلم ظاهر، ولظاهره ظاهر وباطن، ولباطنه باطن، فالظاهر وظاهر الظاهر ما يتداوله العلماء، وعلم الباطن ما يحدثه الرجال بعضهم مع بعض، وأما باطن الباطن فما يحدثه الرجال مع الحق تبارك وتعالى"(٥).

معنى ذلك أن ظاهر العلم ويقصد به علم الشريعة من اختصاص علماء الشرع من الفقهاء وغيرهم، وباطنه يختص به أهل التصوف وحدهم، أما باطن ذلك الباطن فهو دقائق العلم التي تكون بين العارف بالله والله جل شأنه.

هو إذن من الصوفية الرمزيين، ودليلنا على ذلك أن نقطة البدء عند الخرقاني في طريقه إلى الله، كانت بعد أن أعطاه شيخه الروحي الإشارة بأن أمره بالتوقف عن زيارة قبره قائلاً له: قد حان حين سكونك وجلوسك في بيتك، وهو ما تعجب له الخرقاني بوصفه رجل أمي لا خبرة له بالقرآن ولا بالشريعة وأحكامها، فكان أول ما عمله بعد عودته من ضريح شيخه أن ابتدأ بتحصيل القرآن وتلاوته فيقول: "واشتغلت بتلاوة القرآن، فقرأته في أربعة وعشرين يوماً"(٦).

وقد حصل الخرقاني كذلك علم الحديث وتعلمه عن الرسول- صلى الله عليه وسلم- مباشرة كما يقول عن نفسه، إذ ذكر لنا حكاية تجمع بينه ورجلاً أراد الرحيل إلى أرض العراق بغية تحصيل علوم الحديث: فلما شاور الشيخ أبو الحسن نصحه ألا يفعل، وأشار إلى ما حباه الله به من نعم لا تعد ولا تحصى ومنها أن علمه بامتنانه ولطفه، فلما سأله الرجل عن مصدر علمه، كان جوابه: "سمعت من الرسول، وأخذت منه صلى الله عليه وسلم."(٧)

فإذا كان الأصل في التصوف كونه قائم على علوم القرآن والسنة، فإن هذا ما فعله الخرقاني منذ بداية طريقه إلى الله فبدأ بالقرآن وانتهى بالحديث، وهو ما مكنه من تعلم الأحكام والفرائض الشرعية فلا يأتي بما لا يتفق معها، ولا تزل قدمه

(ISSN: 2536 - 9555)

فيفرط فيها، وهو ما يثبت بقوله: "عشت سبعين سنة، ولم أسجد على خلاف الشرع سجدة"(٨).

وإطلالة على قول الخرقاني تكشف عن حرصه على التمسك بالشريعة وأحكامها، وأداء ما افترضه الله عليه من فرائض، وتحصيلها على الوجه اللائق بها، والتزامه الواضح بالأمر والنهي الشرعيين على مدى حياته، حيث لم ترتحل حرمة الشريعة يوماً عن قلبه، وهو ما تجلى في قناعته بالدنيا كدار عمل والآخرة كدار جزاء، حيث ذهب إلى أن للناس" أول وآخر، فما يعملون في الأول، يجزون به، في الآخر"(٩).

وإن كان الخرقاني لا يأبه كثيراً بالجنة والنار في الدار الآخرة، مع عدم إنكاره لهما وقناعته بهما كما سبق وقلنا، لكنه يهتم ولا شك بما أمره الله تعالى به، ولا يحيد عنه، فهو سبحانه الحبيب الذي لا حبيب غيره، ولا مقصود له سواه، ورضاه عنه غاية يتمناها كما يتمنى المحب رضا محبوبه، وقد ناداه الحق جل شأنه في سره، أنه الحي الذي لا يموت، والملك الذي لا زوال لملكه، وأن يمتثل لأوامره، ويتجنب نواهيه، فيعطيه بهذا "ملكاً لا يكون له زوال"(١٠).

فليست الجنة المزينة بكل ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر بمطمع لنفس الخرقاني، كما النار المستعرة التي وقودها الناس والحجارة، بمفزعة له، فهو إذ يؤدي ما افترضه الله عليه في دار العمل كان نظره "إلى ما لا يرى فيه الجنة ولا النار"(١١) أي الله جل شأنه.

ويقترب الخرقاني هنا مع ما صرح به الحلاج (ت: ٣٠٩هجرية) قبل ذلك لما نبه على الرباط القائم ما بين الشريعة والحقيقة بحيث جعلهما معاً وجهين لعملة واحدة : الوجه الأول الشريعة، والآخر الحقيقة التي تقود إلى حقيقة التصوف وهي معرفة الله، فيقول: "أما باطن الحق فظاهره الشريعة، ومن يحقق في ظاهر الشريعة يتكشف له باطنها وباطنها المعرفة بالله"(١٢).

كما تتجلى قناعة الخرقاني بالشريعة وضرورة التمسك بالفرائض والتكاليف الشرعية في كلامه عن حد العلم النافع، حيث يقرر بأن العلم النافع هو العلم الذي "تعمل به، وخير الأعمال فرائضها"(١٣).

وقد تحقق الخرقاني بهذا العلم النافع، فالتزم الفروض الشرعية، وعبد الله– سبحانه وتعالى– بإخلاص طوال حياته، فلم يخل بأحكام الشريعة ولم يتهاون فيها، بل لطالما أكد عليها، حتى قال عن نفسه أكثر من مرة: أنه كان يصلي صلاة العشاء، ويقوم لصلاة الصبح بطهارة العشاء، فالعلم وحده لا يكفي بل لا بد من تحقيق التكامل بين العلم والعمل والتقوى، وهو ما نستدل عليه بقوله "لا فتنة من الشيطان في الدين، إنما الفتنة فيه من رجلين: عالم حريص على الدنيا، وزاهد عار عن العلم"(١٤).

لذلك نبه الخرقاني في وصيته للسلطان محمود الغازي بالمحافظة على دوام التقوى، والصلاة بالجماعة، والسخاوة والشفقة على خلق الله، فبدأ وصيته بالحفاظ على دوام التقوى وهي تشتمل في باطنها على الصلاة والسخاوة والشفقة على الناس كافة وكأنه إجمال أعقبه بتفصيل؛ لأن معنى التقوى "اتقاء الشرك فما دونه من كل ذنب نهى الله عنه، أو تضييع واجب مما افترضه الله"(١٥).

فالتقوي تعني الحذر مع الله تعالي في خصلتين:تضييع واجب ما أمر به، أو إتيان المحرمات التي نهي عنها سواء كان ذلك في السر والعلانية، ولما كان أصل التقوى محاسبة النفس، فلا عجب إن قال الخرقاني عن نفسه: "لا أستريح إذا أمسيت حتى أصحح حسابي مع الله تعالى"(١٦).

ولا شك أن مثل هذا القول لا يصدر إلا عن صوفي عن حق يحترم الشريعة ولا يفرط فيها، ويعي جوهرها من حيث هي تجمع بين العبادات والمعاملات مع خلق الله أجمعين، فتصبح بهذا الشريعة بما هي من أحكام نظرية تطبيقاً عملياً ينظم السلوك الخير بين سائر العباد، بما فيه صلاح ونفع الجميع، فإذا التزم بها القائم بالأمر– أعني الحاكم– لساد العدل وتحقق الحق وهو ما أراده الخرقاني من وصيته، وهو في ذلك لا يخرج عما جاء في النصوص الدينية، ودليل ذلك قوله تعالى "واتقوا الله لعلكم تفلحون" [آل عمران: ١٣٠].

لكن الخرقاني لم يقف بالأمر عند الدعوة إلى التزام الشريعة والتمسك بظاهر أحكامها، فهو كما قلت قبل ذلك من الصوفية الرمزيين الذين توسطوا بين من دعا إلى ظاهر الأحكام والعبادات، ومن غلب عليها المعنى الباطني القابع خلف الرسوم الظاهرة، لذا نراه يصرح بأن الأرض كلها مسجد للمؤمن، والأيام كلها يوم

(ISSN: 2536 - 9555)

الجمعة، والشهور كلها رمضان. فهو لا يقف بالأحكام عند ظاهرها، بل يغلب معناها الباطن على الظاهر فيتأوله على ما أراد، فتصبح بالتالي كل أرض الله صالحة للعبادة وتحقق معناها الباطن، وكذلك الحال في خير الشهور وأفضل الأيام، ولأجل ذلك؛ هو يؤكد على أهمية الصلاة والصوم وسائر العبادات الجسدية العظيمة، لكنه يجعل "تصفية القلب من الكبر والحرص والحسد وغيره من الصفات الذميمة أعظم وأجل"(١٧).

غير أن أكثر الأمثلة التي تبرز رمزية الخرقاني في نظري موقفه من الحج وأحكامه بوصفه الفريضة الخامسة من أركان الإسلام بعد الشهادة، وقيام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وهو ما تجلى بوضوح لما سأل أحد الأشخاص الذي كان ينوي السفر إلى الحجاز لأداء مناسك الحج عن سبب سفره، فرد الشخص: أنه يريد الله، فكان تعليق الخرقاني:"لم لا تطلب إله خراسان، وتمشي إلى الحجاز؟ فإن النبي– صلى الله عليه وسلم– قال: اطلبوا العلم ولو في الصين، ولم يقل اطلبوا الله ولو بالصين"(١٨).

وإطلالة على قول الخرقاني تكشف عن تأوله لمعنى الحج ومناسكه، فهو لا يجد غضاضة في التصريح بتحفظه على ضرورة الحج بالحجاز وزيارة الكعبة الشريفة إلى غير ذلك من مناسك الحج المعروفة، وهو في هذا لا يخرج عما اتفق عليه كثير من الصوفية الذين تأولوا معنى الحج فربطوا بينه والسفر إلى الله بالمعنى الروحي لا الجسدي، وإنا كنا لا نجد تفصيلات كثيرة حول ذلك الحج المعنوي فيما تركه لنا الخرقاني من أقوال على عكس ما نجده لدى صوفية آخرين كالسراج الطوسي وابن عربي على سبيل المثال.

بناء على ذلك نستطيع أن نحدد تصور الخرقاني لعلاقة الشريعة والحقيقة فيما يلي:

- **أولا:** تبجيله لسائر عبادات الشريعة، وتمسكه بضرورة تحصيلها، والالتزام بالأمر والنهي الشرعيين في كل وقت؛ لأنها وسيلة يعبر خلالها إلى الحبيب.
- **ثانيا:** يقدم المعنى الباطن لهذه العبادات على ظاهرها، وهو يعظم العبادات القلبية الباطنية على غيرها من رسوم الظاهر، لكنه في الوقت

ذاته لا ينفيها أو ينحيها جانباً، بل على العكس تصبح باباً ضرورياً يدلف منه إلى الحقيقة.

- **ثالثا:** تبدو الشريعة نقطة بدء ينطلق منها المريد في طريقه إلى المعرفة والحقيقة حتى يصل إلى أعلى درجات القرب من الله، والتي تتحقق عنده بالوقوف عند باب الحبيب، وهو يمعن في توضيح مقصوده بعبارات في غاية اللطافة والدقة، فيقول "ثلاثة آلاف درجة من الشريعة إلى المعرفة، وسبعمائة درجة من المعرفة إلى الحقيقة، وألف ألف درجة من الحقيقة إلى باب الحبيب"(١٩).

فالتصوف في مجمله يتحقق من خلال ثلاثة مستويات، أولها: الشريعة بما تنطوي عليه من أحكام تكليفية وقوانين وسنن جاءت على يد سيدنا محمد– صلى الله عليه وسلم–، وثانيها: الطريقة وهي منهج الصوفي بما يشتمل عليه من مجاهدات ورياضات وترقي في المقامات والأحوال، وثالثها: الحقيقة أو العلم اللدني وهي سر من أسرار الله تعالى يهبه للخاصة من أوليائه وثمرة هذا الطريق وغايته. وعلى ضوء ذلك؛ وتوطئة بهذا نمضي والخرقاني ليحدثنا عن المحبة وحقيقتها وما علق بها من لوازم.

مفهوم المحبة عند الخرقاني:-

المحبة الإلهية كما يرى الخرقاني مرتبة إذا وصل المريد إليها ما كفاه شيئاً من نعم الله المختلفة التي أحسن بها إلى سائر عباده، ولو سقي بكل ماء الدنيا ما ارتوى عطشه، إذ لا ري من شراب المحبة، ولسان حاله عندئذ لا يقول سوى"هل من مزيد"(٢٠).

ذلك لأن مقصود المحب المتحقق بالمحبة الصادقة لا يقف عند حد الحاجات الحسية، والملذات الدنيوية بكافة أشكالها وشتى ضروبها، بل ينصرف قلبه عندئذ إلى محبوبه فحسب، ويتعلق بسبيله فيقطع عليه سائر السبل دونه، وهو الحق جل شأنه، فهو وحده القادر على ري ظمئه وتحقيق سعادته وكفايته، بل لا يأبه المحب للحال التي هو عليها سواء كانت حال ترف وتنعم، أو حال شدة وعوز، فهو على أية حال يكون فيها واقع تحت سلطان محبته، ودليل ذلك قوله "إلهي، أنا على أي حال عتيقك ومحبك"(٢١).

(ISSN: 2536 - 9555)

المحب الحق إذن عند الخرقاني لا يتعلق قلبه بمحبوبه لغرض من الأغراض النفعية، لأنه تجاوز الطمع في الثواب، كما تخطى الخوف من العقاب، فوعده تعالى ووعيده يستويان عند المحب كما تستوي عنده الجنة والنار، وسر ذلك يكمن في المحبة، فمتى استقرت في قلب المحب، ما طلب سوى محبوبه لذاته، ولا التفت لسواه بل وسقطت عنه سائر الحاجات الأخرى التي ينشغل بتحصيلها سائر الخلق طول الوقت، يدل على ذلك قوله: "لو لم تكن الجنة والنار موجودتين، لكنت أنا على ما أنا عليه من محبتك وعبادتك وامتثال أمرك"(٢٢).

لأجل ذلك تسبق المحبة الحقيقية عند الخرقاني العبادة ومواظبته على أداء ما كلف به من الفرائض والبعد عما أمر باجتنابه، بدليل جعله المحبة في مقدمة كلامه يتبعها بعد ذلك العبادة والتكليف، مما يجعل دار الثواب والعقاب عنده يستويان وجوداً وعدماً، فلا محل لهما عنده، لأن الأصل ههنا هو المحبة، أما العبودية وامتثال الأوامر الإلهية هي نتائج وجوبية لمن أحب بإخلاص وصدق، وهو ما نستدل عليه بقوله: "إني لا أنكر وجود الجنة والنار، ولكن أقول لا محل لهما عندي"(٢٣).

فالجنة والنار لا محل لهما عند الخرقاني، وهو ما قد يثير العجب في نفوس البعض، لكن الأمر قد يستقيم مع عموم فكره، إذ يعتقد الشيخ أن العبادة الحقيقة لله– تعالى– تقتضي المحبة والإخلاص له وحده ولذاته، كما تشترط التجرد من مظاهر الطمع والخوف، إما في جنة عرضها السموات والأرض، أو من سعير نار جهنم والجحيم، لذا كان من البدهي أن يترجم هذا موقفه من الجنة والنار، حتى أنه يتمنى لو لم تكونا، وهو يناجي ربه بقوله: "إلهي؛ ليت الجنة والنار لم تكونا، ليتبين من يعبد الله ممن لا يعبده"(٢٤).

وتصور المحبة الإلهية بهذه الخصوصية عند الخرقاني، له ما يشبهه عند واحدة من ممثلي الحب الإلهي وشهيدته رابعة العدوية (ت:١٨٥هـ)، التي سألها الثوري ذات يوم عن حقيقة إيمانها، فلكل عقد شريطة، ولكل إيمان حقيقة، فكان جوابها الصادق "ما عبدته خوفاً من نار ولا حباً لجنته، فأكون كالأجير السوء إن خاف عمل، أو إذا أعطي عمل، بل عبدته حباً له"(٢٥).

كما يتفق الخرقاني في تصوره للمحبة كذلك مع ما صرح به شيخه البسطامي (ت:٢٦١هـ) من قبله لما حسم الصلة بين النفع والحب لدى المحبين بقوله "الجنة لا خطر لها عند أهل المحبة"(٢٦).

فإذا ولينا وجهنا شطر الخرقاني سنجده يقر بأنه قد خلق لأجل محبوبه، وبغرض محبته، فما ولدته أمه إلا لمحبته تعالى، بل ما خلق الله الخلق أجمعين إلا له ليحبونه ويذكرونه ويقدمونه على سائر المحبوبات، وهذا فارق بارز بين طائفة المحبين المجتهدين من أمثال الخرقاني، وغيرهم من عباد الله؛ فمنهم من من يحبون أداء فرائضه تعالى المختلفة من صوم وصلاة وحج وغيرها وهؤلاء هم أهل الظاهر وعموم المسلمين، ومنهم من يحبون العلم والتعلم، وهؤلاء الخاصة، أما الخرقاني ومن على شاكلته فلا غاية له سوى محبوبه الذي لا يطلب سواه، ولا يحب الحياة إلا لأجله، ومن ثم نراه يناجي ربه فيقول: "فإني لا أحب الحياة إلا لك، ولا أحب شيئاً إلا إياك"(٢٧).

وقول الخرقاني من الأهمية بمكان لأنه يكشف عن أشكال ودرجات مختلفة من المحبة، ترتقي من الأدنى إلى الأعلى، وهي محبة أهل الظاهر، محبة الخاصة، محبة خاصة الخاصة؛ من المحبين المجتهدين وهو واحد منهم. معنى ذلك أن المحبة هي المقصد الأصلي عند الخرقاني من عملية الخلق كلها، وعلة وجود الإنسان، فقد خلق الله تعالى الناس كافة لأجل محبته وتذكره، وما أداء عباداته وتعظيمه والتزام أمره ونهيه وتعمير الأرض وعمارتها إلا مسائل فرعية تنبثق عن الغاية الأهم التي تتجلى في المحبة، أو قل– إن جاز لنا القول– هي وسائل معينة للوصول إلى المحبة والتي هي كلمة السر في تجربة الخرقاني الروحية وركيزته الأساسية، وهنا تكمن طرافة تجربته، ومن ثم يجعل الخرقاني المحبة قوت الصوفي وشرابه الذي يقتات عليه ولا حياة له بدونه، يثبت هذا قوله:" طعام الرجال وشرابهم محبة الله تعالى"(٢٨).

وكلام الخرقاني عن الحب ومنازعه الميتافيزقية يشبهه ما سوف يصرح به ابن عربي (ت:٦٣٨هجرية) بعد ذلك، حين جعل الحب علة وجود العالم ككل، فما

(ISSN: 2536 - 9555)

خلقنا الله إلا له لا لنا، استناداً إلى حديث الكنزية الشهير "كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق فعرفوني"(٢٩).

وعودة إلى الخرقاني سنجده ينبه إلى أن المحبة لا يصح أن تكون لغير الله تعالى؛ لهذا نراه ينصح بمصاحبته– جل شأنه– وترك مصاحبة الناس؛ لأنه وحده تعالى هو الذي "ينبغي أن يحب ويحدث عنه ومعه ويسمع كلامه"(٣٠).

فكل مؤمن بالله هو في الحقيقة محب له جل شأنه، لهذا جعل أبو طالب المكي (ت: ٣٨٦هجرية) محبة المؤمن مرهونة بقدر إيمانه وكشف مشاهداته وتجلي المحبوب له، فإذا تحقق ذلك كانت استجابتهم اللازمة والمتمثلة في الإقرار بالتوحيد والامتثال للأوامر والزواجر الإلهية، والتسليم والرضا بحكمه وقضائه، ثم "تفاوتهم في مشاهدات التوحيد، وفي دوام الالتزام للأوامر وفي تسليم الأحكام، فليس ذلك يكون إلا عن محبة"(٣١).

لكن كلام الخرقاني وإيثاره لمحبة الله تعالى، لا يعني الترغيب في مقاطعة خلق الله، والاعتصام بالوحدة والابتعاد عن جموع الناس، وترك الحياة بما فيها من عمل واجتهاد، فقد كان لدى الخرقاني قطعة بستان يعمل فيها بالزراعة والسعاية والحرث طبقا لما جاء في كتب التراجم، وهناك اتفاق على كونه من الصوفية العاملين غير العاطلين، وله زوجة وأطفال وهو مصدر رزق المرأة والعيال، مما يجعلني أظنه يقصد بقوله هذا أن ينشغل المحب بصحبة الله تعالى، ولا ضير إن صاحب عباد الله وقضى حوائجهم، شريطة ألا يشغله ذلك عن حبيبه ودليل ذلك يتكشف حين يناجي الخرقاني ربه واصفاً نفسه بقوله "وخادم لعبادك"(٣٢)؛ لأجل ذلك راح يؤكد على أن الصحبة لا تليق بكل الناس، فما ينبغي على المحب ألا يصاحب إلا من "يكون أعمى، أصم، أخرس"(٣٣).

العمي والصمم والخرس المذكور هنا لا علاقة له بكفاءة الحواس المادية من عدمه، إنما المقصود به الجانب المعنوي الباطني المتحقق في العمى عن رؤية كل ما حرم الله، والصمم عن كل ما نهى عنه الله، والخرس عن ذكر ما لا يحب الله من كذب وبهتان وخوض في أعراض خلق الله، فمن تحقق بهذا كان جديراً بالصحبة، ومن لم يفعل صارت صحبته غير لائقة وهو بمثابة الشرك للصوفي في طريقه إلى الله، والمراد من كلام الخرقاني أن من يليق بالصحبة عنده من كان

"أعمى عن رؤية غير الله تعالى في الوجود حقيقة، وأصم عن سماع غيره، وأخرس عن الاشتغال بغير ذكر الله تعالى"(٣٤).

فإذا كانت المحبة كما تصورها الخرقاني لا ينبغي أن تكون إلا لله تعالى لذاته، ومجردة عن الحاجة، ولا تنتقص بإحسان المحبوب وبذل النعم من عدمه، فكيف يصل المحب إليها، وما الوسائل التي تعينه في طريقه إلى الحبيب؟

الطريق إلى المحبة :-

إن مدخل المحب في طريقه إلى الله ينبغي أن يبدأ بإرداة صادقة وإنابة واجبة، حتى يتحقق له الوصول إلى ما يبغي، والمتأمل المدقق فيما ذكره العطارعن ابتداء حال الخرقاني في طريقه إلى الله، وما حكاه من وقائع، تجعلنا نظن أنه كان من المريدين لا المرادين، إذ كان أبو الحسن لم يزل صبياً بالكاد يبلغ ثنتي عشرة سنة، وقد دأب على أداء صلاة العشاء بقريته بخرقان، ثم يتوجه بعد ذلك إلى بسطام لزيارة قبر أبي يزيد البسطامي، وهناك وعلى قبر شيخه المفضل يناجي ربه: "اللهم اسقني مما سقيت أبا يزيد، وارزقني رائحة مما أنعمت عليه"(٣٥).

وكلام الخرقاني ودعائه للحق سبحانه وتعالى ههنا من الأهمية بمكان، إذ يكشف عن إرادة صادقة من جانبه لطلب شيئاً من الوصل والقرب من الله الذي حظي به أبي يزيد البسطامي، خاصة إذا وضعنا في الاعتبار أن الإرادة المشروطة ببدء الطريق معناها سمو القلب لطلب المراد، وهو ما يتحقق بقوة هنا، كما أن حقيقة الإرادة إنما تتمثل في الاستدامة على الطلب، والجد مع ترك الراحة، وهو ما حققه أبو الحسن لما داوم على تلك الزيارة التي كان يعود أدراجه بعدها إلى خرقان مشياً فيصلي الصبح فيها بصلاة العشاء، وقد استمر على هذه الحال ثنتي عشرة سنة كما يقول العطار، مما يعني أن عمره عندئذ كان قد بلغ الرابعة والعشرين وهو لا يكل ولا يترك هذا الأمر أبداً، حتى سمع هاتف قبر أبي يزيد الذي أذن له ببدء الطريق.

فإذا تحققت الإرادة الصادقة؛ فإن أول ما يلزم المحب لله تعالى أن يحب رسوله- صلى الله عليه وسلم- المحبة التامة ويتبعه بكل محبة وإخلاص، حيث صرح الخرقاني بأن الصوفية ورثة الرسول- صلى الله عليه وسلم- وينبغي على الوارث أن يسير على خطى المورث، فلا يحيد عنه قيد أنملة في القول والفعل؛

(ISSN: 2536 - 9555)

ذلك لأنه– صلى الله عليه وسلم– المثل الأعلى في الكمال الروحي والخلقي، لأنه لا ينطق عن الهوى، فقال تعالى "إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى"[النجم:٤]؛ ولأنه– صلى الله عليه وسلم– كان خلقه القرآن، فهو صاحب أخلاق كلها حسنة يحبها الله ويحب أن يتصف بها عباده، فهو ذا كرم وسخاء أميناً غير خائن، قنوعاً غير طامع، يرى الأمر كله خيره وشره من عند الله، متوكلاً عليه في كل الأحوال، وكانت هذه أوصافه "فيجب على من يدعي وراثته أن يتصف بها"(٣٦).

ونحن إذ نؤكد على قناعة الخرقاني بضرورة الاتباع الكامل للنبي– صلى الله عليه وسلم– وسنته الطاهرة وأصحابه الكرام عن حق، فذلك ما يدل عليه قوله "نحن في قافلة مقدمتها محمد المصطفي– صلى الله عليه وسلم– وأصحابه وراءه، ونحن وراءهم، فطوبى لمن هو في هذه القافلة"(٣٧).

فإذا كان الاتباع التام للنبي– صلى الله عليه وسلم– وسنته العطرة من شروط التحقق بمحبة الله ورضاه، فإن متابعة رسولنا الكريم تقتضي أن نتصف بصفاته الحسنة وأخلاقه الطيبة، وهو ما يتطلب التحقق بالتطهر، ومن ثم ينصح الخرقاني المحب السالك في طريقه إلى الله أن يجتهد ليحقق طهارة باطنه بطهارة نفسه وتصفية قلبه عن الكدورات الجسمانية، والعلائق الحسية؛ ليصبح أهلاً للتقرب بحبيبه، فهو تعالى طاهر يحب الطاهرين، يثبت هذا قوله: "اجتهد لتصير طاهراً في هذا الطريق"(٣٨).

ولا شك أن قوله هذا يستقيم وما دلت عليه النصوص الدينية لقوله تعالى: "فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ" [التوبة:١٠٨] وطهارة الباطن التي يطلبها الخرقاني تتضمن تصفية النفس من الصفات القبيحة المذمومة من كبر وحرص وحسد جنباً إلى جنب تحليتها بجميل الأخلاق من الصدق والإخلاص والحق والعدل وغيرها، وهي مسألة غير يسيرة وتتطلب بذل الوقت والجهد كما تشترط صدق النية والهمة العالية، ولهذا نرى الشيخ أبو الحسن يكثر من استخدام الفعل اجتهد بمشتقاته، فيخاطب السالكين في طريق الله بقوله: يا جماعة المجتهدين المحبين.

وتصديقاً لما ذهب إليه الخرقاني نجده يعدد لنا وسائل طهارة الباطن وتخليته عن الهوى مشفوعاً بالمدة الزمنية التي حددها وتستغرقها كل واحدة منها على

حدة، لتصل إلى تحصيل المطلوب، فيقول "اجتهاد الرجال إلى أربعين سنة؛ عشر سنين لتقويم اللسان، وعشر لتصفية القلب عن الكدورات الجسمانية، وعشر لتخلية الروح، وعشر لتجلية السر، فإذا تمت المدة يمكن أن يخلو باطنه عن الهوى"(٣٩).

وهو ما يمكن التعبير عنه بالشكل التالي:

(خطوات تخلية الباطن عن الهوى)

- تجلية السر عشر سنوات
- تخلية الروح عشر سنوات
- تصفية القلب عشر سنوات
- تقويم اللسان عشر سنوات
- أربعين سنة
- اجتهاد الرجال

الأمر إذن غير يسير، حتى لو استوفى السالك في طريقه إلى الله هذه المسائل، لا يجزم لنا الخرقاني بحتمية وصوله إلى ما أراد بدليل استخدامه للفعل "يمكن"، وهو كما نعلم يفتح الباب لإمكانية قيام أو عدم قيام المطلوب فهو لا يجزم بحدوث ذلك المراد. فلماذا قد لا يصل السالك إلى ما أراد بعد كل هذه الخطوات الجادة المجتهدة؟

أظن أن تحقق المحب بطهارة الباطن وخلوه من الهوى بما يجعله طريقاَ يمكنه من التقرب إلى الله تعالى يقتضي مسألة في غاية الأهمية بدونها لا معنى لكل الخطوات التي نبه لها قبل ذلك، فما هي؟

مجاهدة النفس:-

تعد النفس كما يرى الخرقاني بمثابة الحجاب الماثل بين الصوفي والوصول إلى مراده وهو الله– تعالى–؛ لذلك فقد اشتكى منها الأنبياء والأولياء على حد سواء، لما عرفوا أنه"لا حجاب بين الحق والخلق سوي النفس"(٤٠).

فلما كان هذا شأن النفس، فقد صارت عدواَ للسالك في طريق التصوف، وحاربها جل شيوخ الصوفية لما تنبهوا لحالهم معها، وكان الخرقاني أحد هؤلاء الرجال، فأخذ على عاتقه مجاهدتها ومخالفتها على مدار سنين عمره وفي طريقه

(ISSN: 2536 - 9555)

الروحاني، فيقول :"سلكت لله – تعالى – سبعين سنة، وما خطوت خطوة على مراد النفس، ولا تنفست نفساً على رضاها"(٤١).

لقد اشتهت نفسه الباذنجان على مدار أربعين سنة، فلم يجبها، ولم يحقق لها هذا المطلب الهين، حتى رجته أمه وتضرعت له أن يأكل ما اشتهته نفسه، فتناول نصف باذنجانة بالكاد استجابة لإلحاحها، ولم يخلو بعد ذلك من ندم، حتى أننا نراه يربط بينها وقتل ابنه في تلك الليلة، وإلقاء رأسه في فناء بيته، وكأنه عقاب له على ما فرط في مجاهدة نفسه واتباع هواها، وهو ما نستدل عليه من قوله"القدر الذي وضعناه على الأثفية لا بد له من رأس إنسان"(٤٢).

ولا شك أن الخرقاني كان ظالماً لنفسه في الأول والآخر، الأول لما حرم على نفسه ما أحله الله له حتى ولو على سبيل إقامة البدن وحفظ نظامه، والآخر لما جلد ذاته وحمل نفسه فوق ما تتحمل وألقى باللوم عليها في موت ولده، لكنه كما يبدو قد أخذ عهداً غليظاً بعدم الاستجابة لمطالب نفسه، والسير دوماً على خلاف هواها، حتى أنه يحكي عن اشتهاء نفسه لشربة من الماء البارد، ومثلها من اللبن الرائب طوال أربعين سنة وما أعطاها، فقد دخل مع نفسه في خصومة مفتوحة لا تزول، يثبت هذا قوله" ومع النفس خصومة وخلاف ليس معها صلح أبداً"(٤٣)

لا تقف خصومة الخرقاني مع نفسه في رفض بعض أشكال الطعام والشراب كما جاء في كلامه قبل قليل، إنما تتجلى في مجاهدتها طوال الوقت، والسير دوماً على خلاف هواها، وقد تبدت هذه المجاهدة في عدة أمورحصرها الخرقاني في طاعة النفس، وذكر االلسان، وأخيراً فكر القلب.

فمجاهدة النفس تحقق طهارة الباطن التي يطلبها الخرقاني و تتضمن تصفية النفس من الصفات القبيحة المذمومة من كبر وحرص وحسد جنباً إلى جنب تحليتها بجميل الأخلاق من الصدق والإخلاص والحق والعدل وغيرها، وهي مسألة غير يسيرة وتتطلب بذل الوقت والجهد كما تشترط صدق النية والهمة العالية، ومن ثم نجده حين يرسم ملامح الصوفي الحقيقي ينبه إلى كونه صاحب اجتهاد وعمل، لا مرقعة وسجادة.

الفقر:-

المقصود به التحقق بالعجز، والافتقار إلى الله في كل الأوقات والأحوال، و يعد من المقامات المهمة في الطريق إلى الله عند سائر الصوفية بوجه عام ولدى الخرقاني بوجه خاص. وتتبدى أهمية الفقر عند الخرقاني فيما نقله لنا الناقل من حوار لطيف دار بينه وبين السلطان محمود، وكان الأخير قد دخل عليه متنكراً وقد عرفه الخرقاني ورغم ذلك رد عليه السلام جالساً، وبعدما انتهى ما كان بينهما من أحاديث، هم السلطان بالمغادرة، فقام له الشيخ الخرقاني، وهو ما أثار دهشته، وسأله عن سبب ذلك، فقال له "لأنك دخلت– مع دعوتك– بالسلطنة والامتحان، والآن ترجع وعليك انكسار الفقر"(٤٤).

والفقر عند الخرقاني لا يعني قلة المال أو فقدانه وعدم امتلاكه، بل يعني الافتقار إلى الله في جميع الأحوال، والاستغناء بالحق عن الخلق، وألا تستحوذ أعراض الدنيا وممتلكاتها المادية على قلب وعقل السالك في طريق الله؛ لأنه في غنى عنها ولا يلتفت لها، وهو في هذا لا يقول شططاً عما نجده لدى شيوخ الصوفية الكبار، غير أن الجديد هنا أن يساوي الخرقاني بين الدنيا والآخرة في قلب الفقير، فهو لا يأبه للدنيا ولا حتى للآخرة، يثبت هذا قوله: "الفقير من لا يلتفت إلى الدنيا ولا إلى الآخرة"(٤٥).

وعلة ذلك تكمن في أن الدنيا وما فيها من مباهج ومتع مادية ومعنوية، إضافة إلى الآخرة وما حوته من جنة فيها ما فيها من أنهار من عسل مصفى وفاكهة من كل لون وحرائر من كل شكل، وحور عين، وغيرها مما وعد به الحق تعالى عباده المتقين جزاء لهم على ما قدموا من طاعات، ذلك كله لا وزن له في قلب الفقير إلى الله؛ لأن"الدنيا والآخرة أحقر من أن يكون لهما نسبة إلى قلب العارف"(٤٦).

الحق أن قول الخرقاني هنا بشأن الفقير ومعنى الفقر يتسق مع ما قرره قبل ذلك، حين صرح بأن محبته لله تعالى تتجاوز طلب الدنيا والطمع في جنة الآخرة، إنه لا يريد سوى حبيبه فحسب ولا يرضى بغيره بديلاً، فلا يعبده طمعاً في ثواب ولا خوفاً من عقاب، لكن ذلك كله لأجل محبته.

(ISSN: 2536 - 9555)

فإذا كان ذلك كذلك فلا عجب إن كان الفقير عنده لا يأبه للدنيا ولا للآخرة، فمقصوده يتجاوز هذا وذاك ومراده أكبر وأعظم من أن تحيط به الدنيا والآخرة، فلا عجب إن كان هذا حالهما معاً في قلب كل محب عارف، ولما كان الفقر بهذه الكيفية من المقامات المهمة في طريق السالك إلى الله، فمن جاء الحق تعالى بالفقر أغناه به عمن سواه، فلا يفتقر لشيء من المكاسب المادية ولا ينشغل بها، وهو ما عاينه الخرقاني نفسه، فيقول "نوديت: أن يا عبدي، إن جئتني بالفقر أغنيتك"(٤٧).

والعبور على مقام الفقر أمر لازم للمحب في طريقه إلى الحبيب، غير أن ثمة تداخل بين الفقر والزهد يحصل في عقول الناس، وهو ما يمكن رفعه لو علمنا الفرق بينهما، فالفقر بلا وجود الزهد ممكن كمن ترك الدنيا بعزم ويقين ثابت ورغبته باقية إليها، وكذا الزهد بلا فقر ممكن أيضاً كمن– مع وجود الأسباب– رغبته مصروفة عن الدنيا. فللفقر رسم وحقيقة، أما رسمه فهو عدم الأملاك، وأما حقيقته فهي الخروج عن أحكام الصفات، فرسم الفقر "هو صورة الزهد وأمارته، ومعنى الزهد صرف الرغبة عن الدنيا"(٤٨).

جمع بذلك الخرقاني بين المقامين الفقر والزهد، فقد عرضت عليه كنوز الدنيا وثرواتها كما يقول، ولم يلتفت لها؛ لأن قلبه لا نصيب له من حظوظ الدنيا، فهو مشغول بحبيبه فحسب وهو الحق تعالى. ودليل ذلك ما عرف عن علاقته بالسلطان محمود الغازي الذي أحبه وقدره أيما تقدير، وحاول كثيراً أن يهبه الذهب والمال لكنه أبى، وقال :"إني طلقت الدنيا ثلاث، والمطلقة ثلاثاً لا ترجع"(٤٩). وهو منذ ترك الانشغال الدنيا لم يعد لها مرة ثانية، بل ترك الآخرة كذلك.

ولا شك أن الخرقاني كان مدفوعاً بطلب الله – تعالى– وحده، غافلاً عن كل ما سواه في الدارين العاجلة والآجلة، فمن الناس من يطلب الله وحظوظ الدنيا معا، ومنهم من يقدم لذات الحياة ومباهجها على الحق تعالى، وهناك الخرقاني الذي ملك الدنيا ولم تملكه؛ لأنه لا مراد له سوى اللهَ– جل شأنه– ولا حياة له بدونه، هذا ما نفهمه من قوله: "يقول بعض الناس الله والخبز، وبعضهم يقول الخبز والله، وأنا أقول الله بلا خبز، والله بلا شيء آخر"(٥٠).

تصديقاَ لقول الخرقاني السابق نجده في حياته لايأبه لكنوز الدنيا المادية، فيحكي عنه حكاية لطيفة فيها ما فيها من دقائق الكلام الذي يكشف عن حقيقة زهده بالدنيا، فقد كان ذات يوم يعمل في حراثة الأرض، فحدث أن خرج منها بدل التراب دراهم مرة، ودنانير، مرة أخرى، وهو لا يلتفت لا إلى الدراهم ولا إلى الدنانير، فخرجت أخيراَ الكنوز من اللآلئ والجواهر النفيسة، فقال: "إلهي، إن أبا الحسن لا يغتر بأمثال هذه، ولا يشتغل عنك بالدنيا"(٥١).

معني ذلك أنه – الخرقاني – جمع بين التحقق بالزهد الظاهر المتمثل في الطعام والشراب والمال، وغيره من مغريات الدنيا، وبين الزهد الحقيقي الذي ينطوي على الانشغال بالله تعالى وحده دون سواه، والحق أن الخرقاني لم ينشغل عن الحق تعالى بسواه على مدار حياته، وإنه لأمر عظيم لا يقدر عليه إلا محب وعارف مكين، وهو ما يدل عليه قوله :" إن أبا الحسن الفقير منذ ثلاثين سنة ما خطر بباله غير الله تعالى"(٥٢). ومن ثم يتقاطع كلام الخرقاني في الفقر والزهد مع كلامه في المجاهدة وقطع عقبات الطريق، إذ من طبيعة النفس أن تميل إلى كل ما هو محبوب من الحاجات الجسدية والمتع الدنيوية من مأكل ومشرب وملبس ومنكح ومتاع، فلو لم يكن العبد قادراَ على مخالفة هوى نفسه لما قدر على التحقق بمقامي الزهد والفقر، وكأن هذين المقامين نتيجة لا تكون إلا بتقدم مقدمتها الممثلة في مجاهدة النفس.

الحزن:-

لما بدأ العطار كلامه عن الخرقاني، قال فيه :"وله مع الله – تعالى – مقام الانبساط"(٥٣).لكن المدقق في أقوال الخرقاني يرى غير ذلك، فقد كان مع الله تعالى في مقام الحزن لا الانبساط، وهو ما يبرز مكانة هذا المقام وخصوصيته لديه، فما هو الحزن كما عرفه؟ ولماذا رأيته في هذا المقام بالذات؟

تحكي كتب التراجم عن حكاية لطيفة جمعت بين أبي سعيد بن أبي الخير (ت:٤٤٠هـ) والخرقاني، وكان الغالب على أبي سعيد مقام الانبساط والفرح، بينما كان الخرقاني في مقام الحزن، ولما تعانقا انقلب الحال، فصار أبو سعيد في مقام الحزن فاغتم وأمسى واضعاَ رأسه بين ركبتيه، أما أبو الحسن فتحول إلى مقام

(ISSN: 2536 - 9555)

الانبساط فكان يشهق فرحاً حتى انقضى الليل، فذهب الخرقاني يطلب من أبي سعيد أن يعودا إلى ما كانا عليه قبل تبدل حالهما، قائلاً :" لا أريد هذا البسط، فإن ذرة من الحزن عندي خير من جميع البسط والفرح في الدنيا"(٥٤). فتعانقا مرة أخرى وعادا إلى ما كانا عليه بتقدير القادر على كل شيء. وبصرف النظر عما في القصة من تفاصيل قد يراها البعض كرامة للاثنين، أو يتحفظ عليها، فهي تعكس محبة الخرقاني لمقام الحزن وتشبثه به مقارنة بمقام الفرح، بل لا مكان هنا للمقابلة عنده، حتى أن ذرة واحدة من الحزن عنده أفضل من فرح الدنيا وما عليها، مما يثبت ما قلناه قبل ذلك.

أما سر خصوصية هذا المقام عند الخرقاني فتتكشف إذا عرفنا أن الطرق إلى الله تعالى عديدة، وقد وجد الخرقاني في كل واحد من هذه الطرق يجتمع الكثير من الناس، فلما طلب من الحق تعالى طريقاً فريداً يصل به إليه وحده ولا يسلكه غيره هداه إلى طريق الحزن؛ لأن "الحزن حمل ثقيل، لا يطيق الناس حمله"(٥٥). بالإضافة إلي أن الحزن وصف رسول الله–صلي الله عليه وسلم– فقد قيل فيه كان دائم الفكر متواصل الأحزان.

من هنا تتوثق صلته بالحزن كمقام في طريقه إلى الله يسلكه وحده ولا يزاحمه فيه غيره، فارتضاه لنفسه وحرص عليه كل الحرص حتى رفض استبداله بمقام الانبساط رغم ما في الأخير من بهجة وفرح وطرب ورقص، وما في الحزن من حمل ثقيل ينأى به أغلب الناس، ولأجل ذلك كان من الطبيعي أن يجد الخرقاني العافية في الوحدة والسلامة في الصمت، ويدعو أصحابه:"اتركوا المزاح، إذ لو كان له صورة لما كان له اجتراء أن يدخل محلة أنا أكون فيها"(٥٦).

فالمزاح بهذا لا يدخل محل يكون فيه الخرقاني، مما يدلل على مقامه في مقام الحزن لا الانبساط، فقد قسم الله– تعالى– الأشياء على عباده، وكان "الحزن نصيباً للرجال"(٥٧). وقد قبل الخرقاني نصيبه من الحزن ورضي به، شأنه شأن غيره من الرجال المحبين العارفين؛ ولكن من أين يأتي حزن الرجال؟

أشار الخرقاني إلى حزن الرجال الذي لا تسعه الدنيا ولا الآخرة، ورده إلى إحساسهم بالعجز والتقصير، رغم إرادتهم، فهم يريدون ذكر الله– تعالى– طوال

الوقت ذكراَ لأجله وحده ولائقاَ به ولا يقدرون عليه "فيحصل لهم لذلك حزن طويل"(٥٨).

الذكر:-

خصوصية الذكر عند الخرقاني تكمن في كونه يتقاطع مع غيره من المقامات في طريق السالك إلى الله، فهو من علامات صدق المحبة مثلاَ ومصاحب للرجال في مقام الحزن، حتى أنه علة هذا الحزن كما رأينا، لذلك كان ذكر الله – تعالى – عنده في صدارة أفضل الأعمال جنباً إلى جنب التقوى والسخاوة وصحبة الصالحين.كما يعد الذكر باللسان أحد أشكال المجاهدة عنده؛ ولذلك ينصح أصحابه ألا ينشغلوا بلسانهم عن ذكر غير الله– تعالى–، فيقول "اختم لسانك حتى لا يذكر غيره"(٥٩).

وهو في هذا يمتثل لأمر الله– تعالى– حين أمر عباده المؤمنين بدوام ذكره تعالى، فقال جل شأنه: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا" [الأحزاب:٤١]، ومن ثم تتبدى مكانة الذكر عند الخرقاني، في كونه الكاشف للمرء عن حقيقة حاله مع الله تعالى هل هو غافل، أم يقظ ؟، فإذا ذكر الصوفي الله تعالى وكان"من الفرق إلي القدم من خشية الله ملآن فهو يقظان"(٦٠).

والذكر عند الخرقاني متبادل بين الحق والخلق، شأنه شأن الحب، فكما يذكر الصوفي الله– سبحانه وتعالى–، يذكره الله كذلك أيضاَ؛ لهذا نجده يناجي ربه طالباَ أن يمن الله عليه بفضله وذكره قائلاَ: "إلهي إن ذكرتني فروحي فداك، وإن ذكرك قلبي فنفسي فداء له"(٦١).

الإخلاص:-

كان الخرقاني حاسماَ في تحديد معنى الإخلاص وعكسه من الرياء، وتجيء السمة الفارقة المميزة لهذا الحسم لتعكس الفارق بين من يبغي الله– تعالى– في كل ما يقوم به من أعمال، ومن يطلب الخلق ورضاهم أو مدحهم وثنائهم عليه، لهذا يقول "الإخلاص ما تعمل لله تعالى، والرياء ما تعمل للخلق"(٦٢).

لقد تحقق الخرقاني بالمعنى الذي حدده للإخلاص في عبادته لله تعالى على مدار خمسين سنة من عمره، فلم يلتفت قلبه لأحد من المخلوقين، أو يشغله عن

(ISSN: 2536 - 9555)

الله– سبحانه وتعالى– وكان في كل ما يقوم به من عبادة وعمل مخلصاً لحبيبه بحيث كما يقول: "لم يكن لمخلوق طريق إلى قلبي"(٦٣).

فإذا كان هذا معيار الإخلاص عند الخرقاني، فلا عجب لو رأيناه يقرر بأن أفضل الأعمال ما"لا يكون فيه رؤية المخلوقين"(٦٤). ويصبح كله لله تعالى من البداية حتى النهاية خالصاً لوجهه الكريم بعيداً عن معالم الرياء والنفاق لخلق الله طلباً للمصالح الدنيوية والمكاسب اليومية كما نراه في أيامنا، وما أكثرها، بل يرفض الخرقاني أن يغتر الإنسان بعمله حين يراه، فيسعد به ويسر له، لأجل ذلك يجعل أبرز سمات الرجال من"يتركون العمل لئلا يتركهم العمل"(٦٥).

ويشرح العطار قول الخرقاني فينبه إلى أن المقصود هنا أن من اغتر بعمله ففرح به لما رآه بغاية الكمال والتمام، فإن هذا العمل يتركه ويهرب منه فلا ينتفع به؛ لأنه لم يحقق المعيار الذي طلبه قبلاً وهو أن يكون خالصاً لوجه الله تعالى، أما إذا لم ينظر السالك إلى عمله بهذه الكيفية السالف ذكرها، فرأى تقصيره يحيط به في كل الأحوال والأعمال، فإن"العمل حينئذ ينفعه لا محالة، ولا يتركه ألبته"(٦٦).

العبودية:-

يقرر الخرقاني ضرورة أن يتحقق المحب بمعنى العبودية وهو ما يكون إذا عرف نفسه وأدرك أنها عدم لا وجود لها إلا بوجود الله تعالى وحده، فيعلم عندئذ بعجزه وافتقاره إلى خالقه في كل أحواله، وعندئذ يلبث العبد الذليل في مقام العبودية ويتحقق بكل ما يتقضيه ذلك المقام، من ترك الاختيار مع الله في كل الأحوال، ولا يفارقها مهما بلغ من المراتب ومهما ترقى في الأحوال، وهكذا يمكن أن تتداخل المقامات لدى الخرقاني كما يتداخل مقام الفقر مع الزهد، ومجاهدة النفس، ومقام العبودية، وهو ما يثبت بقوله لما سئل عن العبودية ما هي فأجاب :"ترك الاختيار مع الله تعالى"(٦٧).

التوكل:-

يتصل مقام التوكل بمقام العبودية السابق ذكره، فإذا كان للعبد أن يرضى بكل ما تقدمه يد الجبار، ويتحقق بمعنى العبودية من حيث هي إسقاط لإرادة الاختيار، والرضا بقضاء الله وقدره، لكان له عندئذ أن يتحقق بالطمأنينة وينعم بالأمن

والثبات عند وقوع النكبات أو الأحداث بوجه عام، وهو ما يتضمنه مقام التوكل من حيث معناه، فالتوكل عند الخرقاني هو"أن لا تفزع من السبع والثعبان، والنار والبحر المواج"(٦٨).

الفتوة:-

سئل الخرقاني عن الفتوة ذات يوم فكان جوابه: الفتوة هي"الاستقامة مع الله تعالى"(٦٩). ومن ثم تتجلى خصوصية معنى الفتوة عند الخرقاني، لما جعل مدار فلكها يتحقق مع الله تعالى أو الحبيب طوال الوقت، لا مع الخلق، وإن تقاطع ذلك مع بعض السلوك الموجه للخلق فإنما يكون ذلك بشكل عرضي لا أساسي، وهو ما يتكشف حين سئل عن علامات صاحب الفتوة، وكيف يعرف؟ فقال" إذا أعطى الله أخاه ألف كرامة، وأعطاه واحدة، أحب أن تكون هذه أيضاً مع الألف لأخيه"(٧٠).

على صعيد آخر؛ يربط الخرقاني بين أصحاب الفتوة من ناحية والتوحيد من ناحية أخري، إذ يشير إلي أن الملائكة يطوفون في السماء بالبيت المعمور، والناس بالكعبة، أما أهل الفتوة فهم" يطوفون حول كعبة التوحيد"(٧١).

والتوحيد كما نعلم خصيصة الإسلام الأولى المميزة له، وقد سعت سائر الطوائف والفرق الإسلامية لنصرته، وتأييده والتأكيد عليه بكل ما أوتوا من أدلة وبراهين عقلية كانت أو نقلية، هذا التوحيد هو كعبة أصحاب الفتوة يطوفون حولها وسبيلهم إلى ذلك يكون بالاستقامة مع الله في كل الأحوال والأوقات، إذ يشترط الخرقاني بالفتى للوصول إلى مرتبة الفتوة أن يتحقق بالاستقامة مع الله جل شأنه في كل وقت، وذلك لأن الاستقامة درجة بها كمال الأمور وتمامها، وبوجودها حصول الخيرات ونظامها، ومن لم يكن مستقيماً في حاله ضاع سعيه وخاب جهده، لذا قيل الاستقامة هي "الخصلة التي بها كملت المحاسن، وبفقدها قبحت المحاسن"(٧٢).

والحق أن التزام الاستقامة أمراً لا يطيقه سوى أكابر الفتيان، وهي كما قرر الأستاذ أبوعلي الدقاق على ثلاث درجات:

- **أولها: التقويم وهوتهذيب النفوس وتأديبها**

(ISSN: 2536 - 9555)

- **وثانيها: الإقامة وهي تتعلق بالقلوب وتنقيتها من من الكبر والحسد والحقد وتصفيتها**
- **وثالثها: الاستقامة وهي "تقريب الأسرار"**[٧٣].

ولأجل ذلك كله كان الخرقاني ألمعيًا لما نبه على الاستقامة كضرورة للفتى السالك في طريقه إلى الله، وهي بهذا المعنى تتحقق للولي المحب باعتبار الولاية تمثل أعلى درجات الكمال في العبادة والقرب من الله.

أوصاف المحبين:

إذا كانت المحبة مرتبة كما صرح الخرقاني من قبل، فهذا يعني أنها مقام وليست حالاً، بالتالي لا يصل إليها المحب إلا بالكسب، وهو ما لم يصرح به الخرقاني بشكل مباشر لكننا نفهمه من مضمون كلماته، ولذلك نجد المحب لله تعالى يتصف بعلامات خاصة تفرقه عن غيره من عباد الله، وتدور مع المحبة وجوداً وعدمًا، بمعنى أن انتفاء هذه السمات يقضي بزوال المحبة، فما هي أوصاف المحبين المجتهدين؟

بداءة يلزم علينا أن ننوه إلى أن غرض المحب عند الخرقاني يتمثل في التحقق برضا الحبيب، وهو ما يثبت نقلاً عن رواية تحكي حواراً دار بينه و أحد العلماء الذي يصرح له بحبه لله تعالى، فيسأله الخرقاني: "ألا تعمل على تحصيل رضا الله تعالى لهذا؟، فإن"المحب لا قصد له إلا رضا الحبيب"[٧٤]. من هذا المنطلق؛ لزم علي السالك في طريق الله أن يحرص علي رضا حبيبه، لا يمسي أو يصبح إلا بما يرضي الله، فالعلماء والعباد في الطريق إلى الله كثر، لكن أفضلهم من يجعل رضا الله همه الأكبر، فلا يصبح أو يمسي دونه.

ويدخل ضمن معنى الرضا ههنا وحرص السالك في طريق الله تعالى عليه، أن يرضى بكل ما قضى الله به وقدره عليه من أحداث وأهوال، فلا يتغير مع الله في كل الأحوال، ويعلم بأن الرضا بما كتبه الله عليه أفضل فذلك عند الخرقاني "خير له من ألف ألف عمل لا يرضى الله به"[٧٥]، ولأن التحقق برضا الله تعالى غاية المحب، فهو لا يضن على حبيبه بكل كنوز الدنيا ومتاعها، بل لو حصل وامتلأت الدنيا ذهبًا وفضة وجواهر من كل صنف، ووضعت في كف العبد المحب، لما التفت لها، ولا ملكته، بل لصرفها كلها في تحصيل رضا حبيبه.

من علامات المحبة كذلك، إسقاط الإرادة والاختيار مع الله تعالى، فإذا كان الأحبة قد احترقوا شوقاً لله تعالى، وهم يطلبون أن يبادلهم سبحانه المحبة ويكون لهم، فإن الخرقاني لا يطلب لأنه لا إرادة له ولا اختيار، يشهد بذلك قوله مخاطباً الحق جل شأنه "من أين لي إرادة واختيار حتى أريد وأختار؟"(٧٦).

وقول الخرقاني وإن كشف عن ضرورة إسقاط المحب للتدبير كعلامة على المحبة الصادقة لكن هذا لا يعني نفي الإرادة الإنسانية بالضرورة سواء في الطريق إلى الله، أو حتى في فاعليتها وإيجابيتها في تحصيل أمور المعيشة الدنيوية، وهو ما لم يقل به الخرقاني ولم يرم له، ودليل ذلك أنه اشترط في بداية الطريق إلى المحبة صدق الإرادة ودوامها، كما أنه كان من الصوفية الإيجابيين العاملين بيده، الذي دأب على تدبير شئون حياته وحياة من ارتبط به من أفراد أسرته، مما يجعلنا نظن أن المقصود هنا هو التأكيد على أن تمامية الفعل الإنساني لا تعود إليه بل إلى الحق وحده جل شأنه، وهو من لزوم الأدب مع الله والتعظيم لأمره.

وكلام الخرقاني عن إسقاط التدبير كعلامة من علامات المحبة الصادقة، يشبه ما ذكره معاصره أبو سعيد بن أبي الخيرالذي عد التدبير في المحبة لا يجوز، بل إن المحبة تقتضي بالضرورة التحرر من دعوى التدبير، لأن"التدبير في العشق تزوير".(٧٧)

والسكر من لوازم الحب عند المحبين في تصور الخرقاني، فالسكر من شراب المحبة صفة للمحب إذا أحب بحق، حيث تفيض نفسه بنشوة جارفة من فرط فرحته بقربه من حبيبه، فيغيب في حاله هذا عن كل آخر سوي حضور محبوبه، وهو ما نستدل عليه بقوله "إن أوقفني الله في بساط المحبة، فأنا سكران من شراب المحبة"(٧٨). لكن السكر يعقبه بالضرورة صحو فهو لا يدوم، وكل ما يعيشه الصوفية في الطريق إلي الله يتجاذب ما بين السلب والإيجاب، فالسكر يعقبه الصحو، والغيبة يعقبها حضور، والفناء بقاء وهكذا.

ومن علامات المحبة عند الخرقاني كذلك، أن المحب لا ينبغي له أن يخرج من الدنيا حتى يتحقق بثلاثة أمور وهي أن يرى جريان دموعه من فرط محبته، أن يصير بوله دماً من هيبة الله، تصبح عظامه نحيلة ذائبة من نار الشوق إلى الله،

(ISSN: 2536 - 9555)

وهو يذوب شوقاَ له، وهو ما تحقق به الخرقاني؛ لذا يبعث يوم القيامة شهيداَ كما جاء على لسان حاله إذ يقول: "وأنا أبعث شهيداَ مقتولاَ بسيف شوقك"(٧٩).

وهو يمعن في التأكيد على الشوق كدليل للمحبة، فينبه إلى قوة هذا الشوق وحدته التي يصفها بالنار المشتعلة التي تشتعل في قلب المحب اشتياقاَ لمحبوبه، ومن شأنها إشعال النيران المحرقة في كل شيء، فلو"ظهرت شعلة من نار الشوق التي في قلوب المشتاقين لاحترق من العرش إلى الثرى"(٨٠).

ومن علامات المحبة، لزوم المحب بدوام ذكر الله تعالى على الشكل الذي يليق به، فيصبح بهذا الذكر من المقامات الموصلة إلى الحبيب وعلامة للمحب في الوقت ذاته، وهو ما يثبت بقوله :"يجب على المحب أن يذكر الله تعالى ذكراَ لا يحتاج إلى ذكره ثانياَ"(٨١). ويقصد بذلك أن يذكر المحب ربه فلا ينساه بعد ذلك أبداَ ولا يغيب عن قلبه وخاطره يوماَ، فيظل معه ولا يفارقه لحظة.

فإذا كان ذلك شأن الذكر وحقيقته عند الخرقاني، فكيف يذكره المحب الذكر الذي يليق به، والذكر لا يكون إلا بعد وقوع النسيان؟

لقد عرف المحبين المجتهدين حقيقة الذكر الذي يكون لأجله جل شأنه ويليق به وأرادوه، كما عرفوا في الوقت ذاته أنهم رغم رغبتهم التي أرادت ذلك الذكر، لكنهم لا يقدرون عليه"فيحصل لهم لذلك حزن طويل"(٨٢). هذا الحزن هو وسم لبعض الرجال ممن اتسع حزنهم حتى لم تسعه الدنيا وما حوت، ويبدو لي الخرقاني هو أحد هؤلاء المحبين المجتهدين الحزانى؛ لوعيه لحقيقة الذكر تلك كما أرادها، والتي تليق بمحبوبه الله تعالى، لذلك نراه يعظم مقام الحزن هذا في مقابل مقام البسط والفرح، فالحزن بهذا يعد كذلك من علامات المحبة عند الخرقاني بوصفه سمة ملازمة للمحب المتحقق بالذكر لله تعالى في كل وقت، وهو يطلبه ولا يرضى بالفرح بديلا، كما كان شأن الخرقاني طوال حياته، ومن ثم نراه يفتش بين المحبين عمن ذكره الذكر اللائق بذاته العلية حتى يقلع عينه ويرميها تحت قدميه، أو كما يقول:"يذكرك بما يليق بكبريائك فأفديه بروحي"(٨٣).

فإذا تحقق المحب بهذه العلامات فقد صح وصوله إلى مرتبة المحبة الحقيقية التي أشار إليها الخرقاني، وههنا يمضي المحب مع حبيبه الذي تعلق به قلبه

وتقطعت به كل السبل إلا سبيله، ويطلب حبيبه ومحبته، فإذا أحبه الله تعالى"مهد له الطريق إليه، ثم يقصر له الطريق"(٨٤).

وكلام الخرقاني في غاية الأهمية فهو يؤكد على التلازم الحاصل بين المحبة من جهة والطريق إلى الله من جهة ثانية مما يدعم وجهة نظرنا من أن الأصل في تجربته الروحية هو الحب، محبة الشيخ لله من جهة، وحب الله له من جهة ثانية مما يرشده إلى طريق معرفته، ويمهد له الطريق إليه ويقصره له على حد قوله ذلك لأن طريق الجنة غير بعيد ولا يخرج عن لزوم الأمر والنهي الشرعيين، أما الطريق"إلى الله تعالى بعيد"(٨٥)

وإذا كانت المحبة عند الخرقاني من الأمور المكتسبة، فهي بالتالي من المقامات لا الأحوال، لكن هذا لا ينفي عنها شريطة إيثار الله تعالى لبعض عباده بها، وهو بهذا يقترب مما صرح به أبو طالب المكي لما قال: "المحبة من أعلى مقامات العارفين، وهي إيثار من الله تعالى لعباده المخلصين "(٨٦).

كما يتفق كذلك مع ما قرره الغزالي من بعده، لما جعل المحبة الغاية القصوى من المقامات كلها، والذروة العليا من الدرجات في طريق السالك إلى الله، وهو ما يتكشف من العنوان الذي اختاره لكتابه لما بدأه بالمحبة ثم تبعها بالشوق والأنس والرضا، فعلامة العطف الواو هنا معطوفة على المحبة، فما"بعد إدراك المحبة مقام إلا وهو ثمرة من ثمارها وتابع من توابعها كالشوق والأنس والرضا وإخواتها، ولا قبل المحبة مقام إلا وهو مقدمة من مقدماتها كالتوبة والصبر والزهد وغيرها"(٨٧).

وبقدر ما يقترب الخرقاني من أبي طالب المكي والغزالي، يبتعد بهذا عما صرح به من قبله معروف الكرخي (ت: ٢٠٠هـ) وكان يرى المحبة من مواهب الحق، فهي محض فضل منه، يهبها لمن يصطفي من عباده، لهذا لما سئل عنها قال: "المحبة ليست من تعليم الخلق، إنما هي من مواهب الحق وفضله"(٨٨).

المحبة والولاية:-

لما كانت الولاية من حيث اسمها المشتق من الولاء بمعنى القرب هي تحقيق لأعلى درجات الكمال في العبادة والقرب من الله، وكانت المحبة الصادقة بحسب معناها وكما تصورها الخرقاني تحقيق لأعلى درجات القرب من المحبوب وهو الله

(ISSN: 2536 - 9555)

تعالى لذاته وطلب رضاه، حتى يستغرق المحب في محبوبه ويفنى فيه عمن سواه، فالمحب تبعاً هلهذا هو الولي كذلك من هنا تتوثق الصلة بين المحبة والولاية لدى الخرقاني، ورغم ذلك لا نجد فيما تركه لنا من أقوال اهتماماً كبيراً بالكلام عن الولاية في معناها ولوازمها، ويدور جل حديثه فيها على أوصاف الأولياء حيث أمعن الخرقاني في بيان مكانة الأولياء وحظهم عند ربهم، فذكر أن لله أولياء في صورة البشر، فمن "حرك منهم لسانه يفزع من في السماء والأرض"(٨٩).

وهو هنا يشير إلى سرعة استجابة الحق جل شأنه لما ينطق به أوليائه، وما يجري على لسانهم من أقوال، ولما كان هذا شأن الأولياء من عباد الله الصالحين، فإن لهم هيبة لدى الملائكة في مواضع عدة، يذكر منها الخرقاني ما يلي:

ملك الموت وقت النزع.

الملائكة الكرام عند تسجيل الأعمال.

منكر ونكير في القبر عند السؤال.

فإذا كان هذا حال الأولياء مع الملائكة كما يرى الخرقاني، فلا أقل منه حالهم مع بقية خلق الله من الناس، بل يعطي الله جل شأنه العبد المؤمن منهم هيبة تعادل هيبة أربعين من الملائكة –علي حد قوله– ولذلك نراه يؤكد على هيبة واستحياء الأولياء العارفين والمشايخ من خلال الترغيب فيه من قبل الناس، فيقرر بأن من يستحي في الدنيا من "الله ورسوله والمشايخ، فالله يستحي منه يوم القيامة"(٩٠). لكن الهيبة والاستحياء ليستا فقط ما ينعم الله بها على أوليائه، فهناك كذلك الكرامة التي يريها الله لأوليائه ولمن سار في الطريق إلى الله.

أجمعت كتب التراجم على أن الخرقاني كان من صاحب الكرامات والأحوال، بل لقد تحقق بكرامات عديدة، حتى أنني رأيت أن انتقى منها واحدة فحسب لذكرها والاستدلال بها على ما وصل إليه، وما حدود الكرامة عنده، وكيف صورها؟

تحكي إحدى الروايات عن سفر أحد تلاميذه إلى جبل لبنان لمقابلة القطب الذي سمع عنه هناك، فلما وصل المريد سأل جماعة عن القطب متى يصل؟ فأجابوا يصلي بنا كل يوم الصلوات الخمس، ثم يجيء القطب فيقوموا جميعاً له، وما أن يراه المريد حتى يغشى عليه، ولما يستفيق يسألهم من هذا بالله عليكم؟ يجيبوا:هو الخرقاني، فينتظره حتى يعود في الصلاة التالية، ويطلب منه أن يعود به إلى

خرقان، فما أن ينتهي من الصلاة، حتى يدخل المريد في نوبة إغماء جديدة يستفيق منها ليجد نفسه في سوق مدينة الري، وخرقان ضيعة من ضياع الري، وهنا يوصيه الشيخ أبو الحسن الخرقاني بالكتمان، فيقول"إني سألت الله تعالى أن يسترني في الدنيا والآخرة"(٩١).

وسبب أهمية تلك الكرامة، وما جاء فيها يرجع إلى :

- تكشف هذه الحكاية أن الخرقاني قد حاز مرتبة القطبية، وهي درجة شريفة في الطريق إلى الله ليس بعدها مرتبة، مما يكشف عن مكانة الخرقاني الشريفة التي تتسق مع تقدير الجميع له، وتوقير أهل التصوف لحاله حتى قدمه البسطامي على مكانه وحاله، وأشاد به جلال الدين الرومي سلطان العاشقين.
- يستحي الشيخ أبو الحسن من كراماته، ويطلب من الله الستر.
- تكشف هذه السطور عن قناعة الخرقاني بضرورة كتمان الكرامة، وعدم الاغترار بها، أو الدعوة إلى النفس من خلالها، وهو حد مهم من حدود الولاية تبرز الفارق بين الولي الحق ومدعي الولاية، من جهة، وبين الولي بكرامته والنبي بمعجزته من جهة أخرى، فالولي مطالب بكتم كرامته وألا يظهرها على سبيل العادة، ويدعو إلى نفسه بها، بينما النبي على العكس من ذلك تعد المعجزة دليل على صدق دعوته وهو مطالب بإظهارها للناس للتثبت من صدق حاله .

وقد صور الخرقاني الكرامة، فشبهها بالصور الحسنة التي يراها السالك العارف في سوق الرجال "التصوف"، فمن اغتر بها تخلف عن الوصول إلى مطلوبه، ومن لم يفعل وصل إلى حيث أراد، إذ المنازل كثيرة بين العبد وشهود مبادئ التوحيد، وأولها"الكرامة، فإن اغتر بها العبد الدني الهمة، فلا يصل إلى سائر المقامات"(٩٢).

لم يغتر الخرقاني يوماً بالكرامات، ولم تشغله مرة عن حبيبه، ولا أخرته عن الوصول إلى مقصوده، فقد نقل عنه بينما كان يعمل في الحقل، إذ يضرب يوما بالمر(المسحاة) فيخرج من الأرض مرة دنانير، ثم دراهم، حتى تفجرت الأرض باللآلئ والجواهر النفيسة، فما كان منه إلا أن قال: "إلهي، إن أبا الحسن لا يغتر بأمثال هذه، ولا ينشغل عنك بالدنيا"(٩٣).

(ISSN: 2536 - 9555)

وهو في ذلك كله، يتابع شيخه البسطامي، الذي نقل عنه قوله : كان الله يظهر لي الكرامات في بداية الطريق، فلا التفت لها، ولا أنشغل عنه، فلما"رآني كذلك جعل لي إلى معرفته سبيلاً"(٩٤). لهذا نراه يلزم صاحب الكرامة بالاستقامة، فلا كرامة بلا استقامة، وهو ما أكد عليه شيوخ الصوفية الكبار، حتي قال أبو يزيد" لو أن رجلاً بسط مصلاه على الماء، وتربع في الهواء، فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه في الأمر والنهي"(٩٥).

المحبة والسلوك :-

تعد المحبة عند الخرقاني الأساس الذي ينبثق عنه سائر الأخلاق الجميلة والصفات المحمودة التي يمكن أن يتحلى بها الصوفي المحب لله تعالى، وأولها الإيثار، فحين يحب العبد ربه، فهو يؤثره على نفسه وعلى كل من سواه، وفي إيثاره هذا تكمن سائر الأفعال الجميلة، فهو يؤثر محبة المحبوب الله– جل شأنه– ورضاه على سائر المتع واللذات الدنيوية، فيزهد في دنياه، ولا ينشغل بآخرته، فكل همه هنا يتمثل في التحقق برضا المحبوب والقرب منه والوصول إليه.

وقد تبدت هذه المحبة في صورة الشفقة على سائر خلق الله، فكان يحبهم ويعطف عليهم، حتى كانت وصيته للسلطان محمود بأربع وصايا ثلاثة منها تترجم الأخلاق الصوفية المنبثقة عن المحبة الإلهية وهي: التقوى، والسخاوة، والشفقة على خلق الله.لذلك يؤثر الخرقاني خلق الله جميعاً على نفسه، لاعتقاده أن في ذلك رضا محبوبه عنه، وقد بلغ به الأمر أن تمنى لو مات قبل الخلق كلهم كي يذوق ألم الموت وحده نيابة عنهم، وأن يحاسب كذلك بدلاً منهم، فإذا كان لابد من عذاب لدعا بقوله "ولياليت العذاب بدل جميع الخلق على، لئلا يعذب أحد غيري، ولا يدخل النار"(٩٦).

وههنا تتجلى نزعة إنسانية في غاية الجمال والكمال، فالصوفي كائن كله محبة مملوء بها من أعلاه إلى أسفله، لا مكان في قلبه لكره أو حقد أو حسد، بل يترجم سلوكه تجليات المحبة الإلهية حين تتمكن منه، لهذا يبيت العالم ويصبح وقصده من يومه الاستزادة من بحر العلم، ويصبح الزاهد وفي نيته دوام الزهد والحرص عليه، أما الخرقاني فيصبح وعزمه" أن يوصل سروراً إلى قلب مسلم"(٩٧).

فإذا كان ذلك حاله حين يمسي حتى يصبح، فلا غرابة إذن إن وجدناه يقرر أن له مع كل الناس صلحاً لا ينتهي، فلا خصومة له مع أحد ولا خلاف بينه وبين أي منهم، بعكس نفسه التي آثر أن يؤخرها ويقدم غيرها عليها، حتى صار واقعاً مع نفسه في خصومة لا تنتهي ولا يريد لها أن تنمحي.ومن ثم ليس هناك شيء في الدنيا "أصعب من أن يكون لك خصومة مع أحد"(٩٨).

هذه النزعة الإنسانية الرفيعة لدى الخرقاني تتشابه مع ما نجده لدى البسطامي الذي صرح بأن تعظيم المسلم لأخيه في الإسلام والإنسانية قد يكون من الأمور الهينة على المرء منكم، ورغم ذلك فليس هناك "شيء أضر بكم في دينكم من تهاونكم بإخوانكم في تضييع حرمتهم"(٩٩).

فإذا رجعنا إلى الخرقاني سنجده رغم قسوته على نفسه، كان على العكس تماماً مع غيره من عباد الله، فما طهى الطعام في بيته، ولا أعد الخبز إلا لضيف، وهو في ذلك كريم فوق الكرم وشفوق بخلق الله إلى أبعد الحدود، حتى أنه يقول: "لو كانت الدنيا لي، وجعلتها لقمة، ووضعتها في فم الضيف، ما أديت حق الضيف"(١٠٠).

والأمر هنا يتجاوز عند الخرقاني مجرد الكرم أو استيفاء حق الضيف، فما تركه لنا من نص كلماته نستشعر منه كم كان حريصاً على حالة من الصلح مع جميع خلق الله، لذا نراه يقول عن نفسه: "لي مع الناس صلح لا يكون معه خصومه ولا خلاف بيني بينهم".(١٠١)

وكلمات الخرقاني من الأهمية بمكان إذ تكشف لنا عن خصوصية أخلاقه ونزعته الإنسانية، وتدعم القول بأن التصوف كطريق روحاني هو تحقيق لأعلى درجات التسامح مع الآخر، ومجرد عن كل أشكال التمييز بين الناس تبعاً لدين أو عرق أو لون، وهو بالتالي يصبغ صاحبه بنزعة إنسانية قلما وجدت عند غيره.

وصلح الخرقاني مع الناس كافة، يتحقق من خلال قناعته بضرورة الشفقة على كل عباد الله لأنهم خلقه، وهو يؤكد على ذلك حين يجعل الشفقة على خلق الله من ضرورات الطريق إلى الله، كما نراه ينصح للسلطان محمود بعدة وصايا من بينها الشفقة على الناس، ولا شك أن الخرقاني كان ألمعياً حين وصى الخليفة الممثل للسلطة السياسية بهذا الأمر لوعيه لما فيه من تحقيق للمنافع والصالح

(ISSN: 2536 - 9555)

العام الذي يصب في مصلحة الفرد والجماعة. ومن ثم نجده يحرص على الالتزام بتحقيق علاقات الإخاء والمحبة بينه وغيره من عباد الله أجمعين، حتي أنه يجعل زيارة المؤمن من الأعمال الطيبة التي هي خير عنده من "ألف دينار صدقة في سبيل الله"(١٠٢).

كذلك لا يرضى الخرقاني أن يؤذي غيره بلسان سلط على التجريح والإساءة للناس كافة، فأخذ على نفسه العهود بأن يدفعه عن نفسه وعن غيره؛ لأن أجمل ما يمكن أن يتصف به إنسان لسان عف صادق، وقلب صاف من الحقد والغل والحسد، ونفس طاهرة غير نجسة تحب كافة الخلق وتشفق عليهم ولا ترضى لهم الظلم أو الهوان قط وهذه هي تجليات المحبة الإلهية في قلب الصوفي المحقق.

المحبة والفناء:-

تتجلى خصوصية الفناء عند الخرقاني، حيث تتوثق الصلة بين الحب من جهة والفناء من جهة، وهو ما يتضح حين يجعل كمال المحبة سبباً في حصول الفناء، وهو ما يثبته قوله "إذا اختلى المحب بالمحبوب لا يرى إلا المحبوب، ولا يرى نفسه"(١٠٣).

فالمحبة بهذا الأصل الذي ينتج عنه بالضرورة فناء المحب في محبوبه، فإذا حصلت المحبة، تبعها حصول الفناء في المحبوب، فلا يرى المحب نفسه، ولا يشعر بذاته، بل يفنى بنفسه، ويبقى عندئذ حبيبه فحسب، شريطة أن تكون المحبة صادقة، إذ لو كان" له نظر إليه لا يكون محباً"(١٠٤).

وإطلالة على كلام الخرقاني تكشف عن وثاقة الصلة بين المحبة والفناء من جهة كون الفناء هنا يعد ضرورة لقيام المحبة الصادقة، وبدونه لا مجال للحديث عن المحبة كما تصورها وتحقق بها، وتلك بدورها تحقق للمحب أعلى درجات القرب من المحبوب، حتى يفنى المحب عن نفسه لاستغراقه بالكلية في مشاهدة محبوبه، وبقدر تجرده عن قالبه الترابي وفنائه عنه، يكون بقاؤه بوجود الله تعالى وحده، لذا نراه يقول "إذا خرجت من البشرية، فعيشك مع الله تعالى"(١٠٥).

وقول الخرقاني السابق على إيجازه إلا أنه في غاية الأهمية ؛ لأنه ينبه إلى وثاقة الصلة القائمة بين الفناء والمحبة، لكنه في الوقت ذاته لا يجعل من الفناء غاية في ذاته، بمعني أن الفناء هنا– وإن صار ضرورة وعلامة على حصول

المحب على مراده– إلا أنه يظل– وقبل أي شيء آخر– وسيلة لابد منها وعلة للوصول إلى مشاهدة المحبوب، ومن ثم حق قول القائل بأن الطريق إلي الله عند الصوفية من جهة المحبة يستلزم الفناء في الذات الإلهية بالضرورة(١٠٦).

والحق أن القول بالفناء– كضرورة لتحقيق أعلى درجات القرب من الله– لا يستقيم مع الأصول الدينية الإسلامية من قرآن وسنة، فما على العبد وفق ما جاء في تلك النصوص سوى أن يتقي الله في كل أحواله الظاهرة والباطنة، حتى ينال القرب المطلوب، دون أن يتحقق بالفناء المطلق وما ينطوي عليه من غيبة وسكر ومحو، ودليل ذلك قوله تعالى "وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ".[البقرة:٢٨٢]

وههنا دقيقة إذ يحتل الفناء عند الخرقاني مكانة مهمة في تجربته الصوفية تبرز بوضوح حين يجعل جوهر التصوف هو الفناء، وهو ما يتكشف من خلال جوابه عن سؤال أصحابه من هو الصوفي؟

وههنا تتبدى قناعة الخرقاني بماهية التصوف والصوفي الحقيقي، فقد جاءه يوماً رجلاً يسأله أن يلبسه خرقة التصوف، فما كان منه إلا أن سأله الإجابة عن مسألة فإن فعل، فسيحقق له مطلبه، أما المسألة فكانت في السؤال التالي: إذا ارتدى الرجل ملابس المرأة أيصبح بهذا امرأة؟، وإذا لبست الأنثى ثياب الرجل فتعممت وما شابه ذلك، أتنقلب بهذا فتصبح رجلاً؟

وأما جواب الرجل فكان لا لاتنقلب المرأة إلى رجل ولا يتحول الرجل إلا امرأة بمجرد لبس ملابس الآخر، عندئذ قال الشيخ للرجل:"وهكذا لا يصير الإنسان صوفياً بلبس المرقعة، فإنها في الحقيقة زي الرجال، ولا يليق بها إلا رجل."(١٠٧)

ويقدم الخرقاني تعريفاً آخر للصوفي، لما سئل عنه، فقال:" الصوفي لا يكون صوفياً بالمرقع ولا بالسجادة، ولا بإجراء الرسوم والعادة، بل الصوفي من كان فانياً عن وجوده في عالم الشهادة"(١٠٨).

وإطلالة على قول الخرقاني سنجده يستقيم مع ما ذكره قبل ذلك بشأن حال الصوفي، وينبه في الوقت ذاته إلى حقيقة بالغة الأهمية بشأن الفناء عنده، إذ حد التصوف لا ينفك بحال من الأحوال عن الفناء وهو الأمر الذي يجعل صاحبه في حال لا يمكن له معها الشعور بأنانيته الإنسانية، ووجوده البشري، فالتصوف عنده لا يقف عند المظاهر الخارجية، بل يتخطاه إلى الباطن باعتباره حقيقة باطنية،

(ISSN: 2536 - 9555)

وهو ما دلل عليه الخرقاني في موضع أخر، لما قال في وصف الصوفي هو:"جسد ميت وقلب فان ونفس محترقة"(١٠٩).

فالتصوف عند الخرقاني ومن قبله وبعده، يتجاوز الأشكال والرسوم الظاهرة ليعبر عن سلوك الصوفي الذي تجرد عن رغباته الجسدية، وتحقق بطهارة الباطن، وعمل على مجاهدة نفسه، حتى فني عن كل ما سوى الله، وهو بالتالي طريق للسلوك العملي للمتصوف المتحقق بالمقامات والأحوال التي ينطوي عليها منذ البداية وعلى مدار تجربته الروحية في طريقه إلى الله. من هنا فالصوفي عنده لا يكون كذلك بظاهره ولا بالرسوم والعادة، لكن الصوفي من لا وجود له، وهو لهذا لا يحتاج إلى كل ما يحتاج إليه غيره في وجوده كالشمس في النهار والقمر والنجوم في الليل؛ لأنه في غنى عن ذلك كله "لاستغراقه في بحر الشهود"(١١٠).

فمن كان هذا حاله، فهو صوفي ولا شك أنه فان عن ذاته، وعن الخلق، مستغرق في الحق بالحق.

يمكن أن نجد نظيراً لما قاله الخرقاني لدى البسطامي فقد كان هذا حاله، لاستغراقه في مشاهدة الحق تعالى، وفنائه عن نفسه، حتى إذا سئل ذات يوم عن حاله وكيف أصبح؟ كان جوابه: لا صبح ولا مساء لي إذ الصباح والمساء لمن تأخذه الصفة وأنا لا صفة لي(١١١).

لقد كوشف الخرقاني بشهود حبيبه، فاستغرق في عين التوحيد، فلا هو مشغول بغيره، ولا محترز عمن سواه؛ لذا لا يخاف الموت، ولا يفزع من سؤال الملكين في القبر، فإذا قامت القيامة، ظل على حاله الذي يقول فيه: "إذا قامت القيامة، وقامت أهوالها أنا أستغرق في بحر التوحيد، وأستريح عن تلك الأحوال"(١١٢).

فإذا كان جوهر التصوف عند الخرقاني في واحدة من جوانبه يتمثل في الفناء، فهو يتفق في هذا مع ما صرح به من قبله الشبلي"(ت:٣٣٤هـ) حين عرف التصوف بقوله:" التصوف برقة محرقة". في إشارة إلى لحظة إشراق القلب الصافي بنور الحق حال فنائه عمن سواه.(١١٣).

وهو قريب مما ذهب إليه الخرقاني بعد ذلك لما قرر بأن تنور قلب الصوفي بنور الحق ﷻ، من شأنه أن يفتح الله له باباً من أنوار التوحيد، إذا "مر به جميع ما في العالم من فوق إلي ما تحت الثرى لاحترق"(١١٤).

وفناء الخرقاني عن نفسه والخلق، يتضمن بقاءه بالحق، مما يعني أن الفناء هنا لا يعني زوال النفس ولا عدم الخلق، لكن الصوفي حال فنائه لا يحس ولا يشعر إلا بالحق سبحانه، وبه وحده جل شأنه يكون بقاؤه، وهو ما نفهمه من قوله "نظرت إلى بقائه، فأراني فنائي، ونظرت إلى فنائي فأراني بقاءه"(١١٥).

فإذا كان الخرقاني قد فني عن نفسه وعن الخلق من حوله، وبقي بالحق، فذلك لأنه نظرمن الحق، فلو كان في تلك الحال نظر إلى نفسه أو غيره، ما تحقق بشهود الله سبحانه، إذ الأصل هنا أن يدع الصوفي نفسه وكل ما قد يشغله ويستغرق في الباقي الذي لا يزول، فيكون البقاء به بقدر ما يفنى عمن سواه، وهو ما نفهمه من قوله "من نظر من الحق إلى الخلق لا يرى الخلق"(١١٦).

لكنه يرى وقتها الحق ولا يرى سواه، لهذا لما سئل أحد العارفين لم لا يجد الله، كان جوابه لأنك تطلبه بك، فالأصل هنا يرتد أولاً إلى المحبة الصادقة لله تعالى وحده لذاته، ويتبعه الفناء فيه عمن سواه، فلا مجال للحديث عن الآخر، بل ما ثمة وجود إلا للمحبوب، ولا بقاء للحب إلا بفنائه في محبوبه فحسب، وهو ما يدفعنا للظن بأن جوهر تجربة الشيخ أبو الحسن الخرقاني الروحية وركيزته الأساسية هو الحب الذي هو علة وقوع الفناء، وهو في الوقت ذاته ضرورة لقيامها على وجه التمام، فلولا المحبة الصادقة ما فني المحب عن نفسه، ولا بقي بمحبوبه.حيث يصبح الفناء في المحب من علامات المحبة الحقة وآثارها، فإذا فني المحب في محبوبه وصفي قلبه وطهر باطنه وصل إلى معرفة شهوده.

المحبة والمعرفة:-

قيل في المحبة أنها الوجه الآخر للمعرفة، أو هي ثمرة المعرفة؛ لكن المتأمل المدقق في كلام الخرقاني يفهم أنه من القائلين بسبق المحبة على المعرفة، فلما كانت المحبة مقاماً فهي إذن سابقة على المعرفة، وكيف لا والمحبة عنده الركيزة الأساسية التي تقوم عليها سائر تجربته الروحية، فمن أحب الله المحبة الصادقة ولزم مقتضيات محبته، فني عن نفسه وكل ما سواه، ولم يشهد عندئذ سوى محبوبه فلا يرى سواه، وتتكشف له التجليات النورانية من حضرة القدس، ويكون عندئذ العارف بالله، ودليل ذلك قوله"من احترق بنار شوقه، فصار رماداً، فتهب ريح

(ISSN: 2536 - 9555)

المحبة، وتملأ من ذلك الرماد السماء والأرض، فإن أراد أن يسمع فهناك يسمع، وإن أراد الرؤية فهناك يرى، وإن أراد الذوق فهناك يذوق".[١١٧]

وههنا دقيقة فمحبة الله تعالى لا تسبق معرفته جل شأنه فحسب، بل يجعل الشيخ أبو الحسن الخرقاني محبة المريد للشيخ كذلك أيضاً، فكلما كانت "محبة المريد للشيخ أقوى، كانت معرفته أتم وأكثر"[١١٨]. ومن ثم العلاقة ههنا بين المحبة من جهة والمعرفة من جهة أخرى علاقة طردية، إذا زادت الأولى لزم عنها بالضرورة قوة وتمام الأخيرة، والعكس صحيح في الحالين معاً، سواء كنا نتحدث عن محبة الله أو الشيخ.

فإذا كان هذا ما قرره الخرقاني بشأن المحبة والمعرفة، فهو يختلف مع ما صرح به جلال الدين الرومي من بعده، حيث يرى الأخير المحبة علة شفاء الآلام والأسقام، بل هي سبب بعث الميت حياً، فإذا تمكنت من أحدهم قلبت الملك عبداً، لكن هذه المحبة بدورها" نتيجة للمعرفة، ومخدوع جزاف القول متى جلس على هذا العرش ومتى أدت المعرفة الناقصة إلى هذا العشق؟"[١١٩]

والحق أن الحديث عن أيهما أسبق المحبة أم المعرفة ؟ مسألة شائعة لدى جل شيوخ الصوفية وكل من انشغل بجدل الحب والمعرفة بوجه عام، وقد ذهب كل منهم مذهبه، لكن الأمر الذي لا خلاف فيه هو أن العلاقة وثيقة بين الأمرين معاً، فسواء كنت قد أحببت فلهذا عرفت، أو أنني عرفت ولهذا أحببت، فالتداخل بينهما قائم ولا شك، من هنا ذهب بعض الباحثين المعاصرين إلي أن هناك منظوراً مزدوجاً للمعرفة والمحبة بالنسبة للصوفية، فإن هاتين المقاربتين للإله يكملان بعضهما البعض بقوة[١٢٠].

وظني أن الحب والشوق إلى الله يدفعان بالمتصوف إلى التقرب إليه، ومحاولة التعرف عليه، كما أن المعرفة بالله تزيد من شدة الحب وقوته، فالحب سابق ولاحق بالنسبة إلى المعرفة.

المعرفة طبيعتها وأداتها عند الخرقاني:-

المعرفة عند الصوفية بوجه عام سواء كانوا من صوفية الإسلام أو غيره، هي صفة من عرف الله تعالى بأسمائه وصفاته المعرفة التي تليق بذاته، وصدقت جوارحه ما عرفه، وأكدت معاملاته صدق معرفته، فتخلى عن سفائف أخلاقه،

وتحلى بالمحمود منها، وصفى قلبه من كل ما سوى الله، وجاهد بنفسه حتى فني عن الهوى، فهداه الله سبله وتطهر باطنه، فأصبح أهلاً لتجليات أنوار الإشراقات الإلهية، فعرف ربه وأصبح- عندئذ- عارفاً بالله.

وقد ميز الخرقاني بين العلم والمعرفة، بعبارة دقيقة في غاية الإجازة والبيان، لما قال: "العالم يشتغل بتفسير القرآن، والعارف بتفسير نفسه وشرح أحواله"(١٢١).

ومعنى قوله أن العالم من عني بالعلوم الشرعية الظاهرة من أحكام ومعاملات، وغيرها مما جاء في النصوص القرآنية، والذي يختص به الفقهاء ورجال الدين بوجه عام، أما العارف فصاحب الذوق الإلهامي، الذي انشغل بمعرفة نفسه وأحوالها، بوصفها طريقه إلى معرفة ربه، فمن عرف نفسه عرف ربه، وغاية معرفة العبد لنفسه ولربه عند الخرقاني هو أن يعرف أنه عبد ذليل عاجز لا يتجاوز مقام العبودية لله تعالى وحده، وهي طريقه إلى شهود الربوبية.

لهذا نجده يسأل يوماً أصحابه إذا ما أرادوا صحبة الخضر عليه السلام، فكان الجواب بالموافقة من قبل عجوزاً قد بلغ الستين، فتهلل الخرقاني لطلب الأخير منبهاً إياه إلى ابتداء سلوكه الطريق إلى الله وبداية عمره وطاعته ومحبته لله سبحانه، منذ تلك اللحظة التي اختار فيها صحبة الخضر، وهو ما يدل عليه قوله: "إني منذ صحبته أنا في صحبة الله، ولم يبق في فؤادي أن أصاحب غيره"(١٢٢).

وهو ما يستدعي في أذهاننا قصة موسي والخضر عليهما السلام، وما دار بينهما من حوار ماتع وتجارب شيقة كاشفة عن الفرق بين العلم الظاهر الذي يمثله موسى عليه السلام، في ذلك الوقت، والمعرفة أو العلم الباطن الذي يمثله الخضر في ظني، فالسالك في طريق التصوف هو من اختار مصاحبة الخضر وقد يصل بتوفيق الله إلى معرفته ويصبح عارفاً بالله .فقد كانت المعرفة غاية كل صوفي سلك طريق التصوف، للتحقق بالقرب والوصول إلى الله سبحانه وتعالى، فتحدث فيها شيوخ الصوفية الكبار، ونطق كل منهم بما عاشه، وعبر عن حاله، وما وقع له بالفعل، وكان الخرقاني أحد هؤلاء.

يجعل الخرقاني المعرفة غاية مشتركة لدى كافة الأنبياء والأولياء في الحياة الدنيا، وهم جميعاً يجتهدون لمعرفة الله تعالى المعرفة الحقة، ويتسابقون إلى

(ISSN: 2536 - 9555)

روضة الوصال، وجل ما يصلون إليه هو العجز عن معرفته، فسبحان"من لم يجعل لخلقه سبيلاً إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته"(١٢٣).

والجدير بالذكر أن قول الخرقاني يتشابه مع ما نسب إلى سيدنا أبي بكر الصديق عن مقولته الشهيرة التي يذكرها الجيلاني العجز عن درك الإدراك إدراك، والمقصود حصول الإدراك لا العجز عنه، فأتصف" العبد هنا بالعزو وانتفي عنه الحصر والعجز "(١٢٤).

والعجز عن معرفة الله تعالى الذي أشار إليه الخرقاني معناه الإحاطة التامة بالمعرفة الإلهية التي تليق بذاته وصفاته العلية، وهو أمر يعجز عنه العارف، فلا يقدر عليه، وعلة ذلك تكمن في أن المعرفة لا نهاية لها. فلكل شيء آخر، وآخر كل شيء نهايته، إلا المعرفة بالله لا آخر لها ولا حد تقف عنده. فالعارف بالله إنما عرف عن الله، ونال روضة الوصال، وتحقق بالقرب، وطاب لقلبه التلقي عن خاطر الحق، لكنه أبداً لا يصل إلى تمام المعرفة، فقد يعرف عن الحق، ويبصر عجائب الغيب، وهو في الوقت ذاته، لا يعرف أكثر مما يعرف، وهو يعي لذلك ويدرك بالتالي عجزه عن تمام المعرفة، وأنه غير قادر عليها، لهذا قال الخرقاني "ما عرفت من الله عز وجل– كثير وما لم أعرف فأكثر "(١٢٥).

وما عرفه الخرقاني عن الله– جل شأنه– من أنوار العلم لم يكن إلا بالله وتوفيقه، بعد أن أودع داخله من الفتوحات ما لم يكن له علم بها، ثم دله عليها واطلعه بها، فما زاده الأمر إلا حيرة بعد حيرة، فصار متحيراً سعيداً بحيرته، راجياً الله أن يزده فيما هو فيه، فيقول: "يا دليل المتحيرين زدني تحيراً"(١٢٦).

فإذا كان ذلك كذلك، فحقيقة الأمر ترجع إلى كون المعرفة كما يذهب الخرقاني بحراً واسعاً لا يدرك غوره، ولا يمكن لأحد أن يكشف آخر ساحله، فهو يشبهها بالبحر الممتد الذي تتساقط فيه السفن غرقى فتتكسر ولا تصل قط إلى ساحله، وكم من الناس غرقت في ساحل هذا البحر قبل الوصول إليه"(١٢٧).

ويتفق الخرقاني فيما صرح به، مع ما ذهب إليه الشبلي لما سئل عن المعرفة فكان جوابه: "أولها الله تعالى وآخرها ما لا نهاية له"(١٢٨).

وههنا دقيقة إن الشعور بالعجز عن المعرفة والحيرة بالإضافة إلى الحياء من علامات المعرفة عند الخرقاني؛ لذا نراه يجعل معيار كمال المعرفة عند صاحبها

يكمن حين يصل إلى مرحلة العلم بأنه لا يعلم في الحقيقة، فكل صاحب علم يغتر بعلمه حتى إذا وصل إلى هذه المرحلة- أعني الشعور بعدم العلم بالحقيقة- فإنه "يستحيي حينئذ عن دعوى العلم والمعرفة، والآن كملت معرفته"(١٢٩).

ومن علامات المعرفة أيضاً عند الخرقاني، أن يشتغل العارف بالله وحده ولا يلتفت إلى سواه بعد أن يصل إلى المعرفة بالله، ولهذا قال عن نفسه أنه منذ أربعين عاما وقلبه ما فيه سوى الله، حتى سئل عن حال قلبه، فكان جوابه فرق بيني وبين قلبي، بمعنى صار الله فيه فملكه وصار له وحده، وما عاد له سلطان عليه، ولم يعد لمخلوق طريق إلى قلبه سوي حبيبه جل شأنه، فيتخلى عن صفاته البشرية بكل ما تضمنه من لوازم، ويكون في صحبة الله- سبحانه وتعالى- وهو ما نفهمه بقوله: "إذا خرجت من البشرية، فعيشك مع الله تعالى"(١٣٠).

وتصديقاً لما سبق، قال له صاحبه وهو يحاوره: إن الشيخ الجنيد- رحمات الله عليه- دخل دنيانا صاحياً وخرج منها صاحياً في إشارة منه إلى تمكنه في أحواله في طريقه إلى الله، وعدم وقوعه تحت طائلة الشطحيات كما أظن، أما الشبلي- رضوان الله عليه- فقد سلك طريق التصوف وهو سكران وخرج منه سكران كذلك، فهو من أهل السكر في المعرفة، فلما سمعه الخرقاني كان تعقيبه: لو سئل الجنيد والشبلي عن حالهما لقالا: لا ندري كيف دخلنا ولا كيف خرجنا؟ وفي الحال نودي في سره بما يؤكد صدقه؛ لأن "من عرف الله تعالى لا يبقى له التفات إلى غيره، فهو لا يعرف غير الله"(١٣١).

فإذا كان الأمر كذلك، فلا عجب لو جعل الخرقاني شغله الشاغل، أن يدفع عن خاطره كل ما يشغله عن حبيبه سبحانه، وهو ما يدل عليه جوابه عن سؤال أحد أصحابه بشأن ماهية شغله، فكان "شغلي أن أدفع جميع ما سوى الله عن خاطري"(١٣٢).

لذلك نجده يتحسر على ألوف ألوف الناس ممن يخرجون من الدنيا، وهم على غفلتهم دون أن يتذوقوا حلاوة الإيمان وجمال المعرفة بالله، وكان الأولى بهم أن يسعوا في سبيل الوصول إلى الحق والمعرفة به، ويدفعوا عنهم كل ما سواه، وهو ما تحقق به الشيخ أبو الحسن الخرقاني، الذي زهد في كل شيء سوى الله،

(ISSN: 2536 - 9555)

ويحكي عن حاله "لئن أعيش في الدنيا تحت شجرة عوسج مع المعرفة بالله تعالي أحب إلي من أن أكون في ظل طوبي، وأنا غافل منه جاهل به"(١٣٣).

ومن علامات المعرفة كذلك الطمأنينة والسكون وعدم الفزع في كل الأحوال في الدنيا والآخرة، فالعارف بالله المستغرق في بحر التوحيد، يستريح من حوادث الدنيا، ولا يفزع من القيامة وأحوالها، ولا يخاف الموت أو يخشي حساب القبر؛ لأنه عندئذ يكون قد وصل إلي الحق، ومن وقف علي هذا الحال، كان كما قال الخرقاني "فوصلت إلى مقام ما رأيت هناك شيئاً، بل رأيت الكل لله، فلا مكان لخوف ولا مجال لفزع"(١٣٤).

فمن وصل إلى هذا المقام عند الخرقاني، تستوي عنده الدنيا والآخرة، فلا يأبه لهذه، ولا ينشغل بتلك، بل يتركها لأهلها، ويسافر في مقام التوحيد، فيقول عن نفسه وحبيبه "أنت واحد وأنا كنت لك"(١٣٥).

هو بهذا يقترب مع ما سبق وقال به الحلاج (المقتول:٣٠٩هـ) لما جعل للمعرفة علامات، وكانت علامة العارف عنده" أن يكون فارغاً من الدنيا والآخرة"(١٣٦).

لقد آثر الخرقاني البقاء مع الله، فزهد في الدنيا، ولم يعود لها منذ أن تركها، وهو على يقين بأن حظه منها ومن العالمين هو الله– جل شأنه– فما أسعده بحاله، وقد أغناه الله عمن سواه وسخر له الماء والهواء، وأطلعه على فتوح الغيب وأنوار العلم، فكيف كان ذلك؟

قد لا يكون من قبيل التكرار أن نقول بأن المعرفة التي ينشدها الصوفي ذوقية تتحقق بالكشف والعيان ولا مكان فيها للحس والبرهان، أداتها هنا تتمثل في القلب، ومن ثم يتعجب الخرقاني ممن يسأل: أين يكون العقل والإيمان والمعرفة؟!

فيرد على السائل بعبارة في غاية البراعة والدقة، وتحمل الجواب في طياتها، فيقول "أرني لون هذه الأشياء، ثم إني أريك مكانها"(١٣٧).

وإطلالة على قول الخرقاني تكشف لنا أن طريق المعرفة بالله هو طريق المجاهدة ورياضة النفس، وصفاء الباطن، وفناء الحواس، أما أداتها فهي القلب بعد أن يصفى ويتطهر ويصبح أهلا لتلقي أنوار المعرفة بالله وتجليات الحضرة الإلهية، في هذا الطريق لا مكان للعقل الذي جعله المعتزلة وحده أداة المعرفة بالله

بالضرورة، فصرح القاضي عبد الجبار وهو شيخ مشايخ المعتزلة في عصره بأن "معرفة الله تعالى لا تنال إلا بحجة العقل"(١٣٨).

إذ العقل عند المعتزلة هو الأساس في إثبات وجود الله تعالى ومعرفته، وذلك بتدبره في أفعاله تعالى، والتي تتجلى في خلقه للعالم بجواهره وأعراضه، فلا دليل عندهم إلا أفعاله التي اختص بها دون سواه، وإذا كانت الأحكام التي تلتمس عندهم في أدلة أربعة هي: حجة العقل، والكتاب، والسنة، والإجماع، فإن معرفته تعالى لا تتم إلا بحجة العقل وحده(١٣٩).

وعودة للخرقاني سنجد تحفظه علي معرفة الحس والعقل أمر شائع عند عموم الصوفية، ولهذا صدق بعض الباحثين المعاصرين بقولهم "فقدان العقل ضرورة لصعود الصوفي إلي المطلق، هذا المطلق لن يكون إلا إذا اعترف بأنه تعالي مجهول للعقل وأطيع للقلب"(١٤٠)، فها هو أبو سعيد بن أبي الخير، يتحفظ على العقل في مجال علوم الألوهية ويراه يقصر في أسرار الربوبية ويند عنها لأنه "محدث، وليس للمحدث طريق إلى القديم"(١٤١).

ولهذا كان القلب عنده هو أداة تلك المعرفة ولكنه لا يتأتى للقلب المعرفة بالله وعن الله إلا إذا خلص من محاب النفس بوصفها تقف عقبة كؤود في تلقي إشراقات الحق تعالى على قلب عبده.فإذا أمكن أن يخلص من تدبيرها ويتجرد من علائقها ففي هذه الحالة يكون فارغاً عن كل ما سوى الله وحينئذ يصبح محلاً لأنوار المعرفة الربانية(١٤٢).

كذلك الحال عند السهرودي المقتول(٥٨٧هـ) الذي تابع الخرقاني في نقده للعقل ونبذه للبرهان في طريق معرفة الله، فأكد أن المعرفة الصوفية التي تقوم على الكشف والمشاهدة أقوى يقيناً من غيرها من المعارف الأخرى؛ لأنها تؤخذ مباشرة عن الحق تعالى بحدس مباشر لا شريك فيه ولا وساطة، وهو ما يكشف عنه بقوله: "من كل النواحي يثبت أن المعرفة الصوفية أرفع من كل المعارف"(١٤٣).

ولا يعني هذا احتقار العقل وما تقدمه الحواس من معرفة، فهذا ما لا ينبغي أن نتصوره، إذ لكل من الحس والعقل معاً ميدانه الذي يجول فيه بطلاقة وحرية، ولولا ذلك لما كان ثمة فائدة تذكر من خلق الإنسان بحواسه، وهو ما يتعارض مع حكمته تعالى التي تقتضي حكمه بخلق كل شيء لغاية ومنفعة للإنسان وكان

(ISSN: 2536 - 9555)

وجودها عبث على عبث، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. ولما كان العقل مناط التكليف في حياتنا الدنيا، بحيث إذا حرم الإنسان العقل سقط عنه التكليف ورفعت عنه أحكام الشرع، غاية ما هنالك أن العقل والحس فيما يتعلق بمعرفة الله تعالى عاجز غير نافع، ولا يدل إلا على عاجز مثله، فلا طاقة له على الإحاطة بالمطلوب وهو الحق تعالى، لهذا أجمع الصوفية على أن "الدليل على الله هو الله وحده وسبيل العقل عندهم سبيل العاقل في حاجته إلى الدليل لأنه محدث، والمحدث لا يدل إلا على مثله، وقال رجل للنوري ما الدليل على الله قال: الله"(١٤٤).

وهو ما يتفق مع ما ذهب إليه الحلاج المقتول (ت: ٣٠٩هـ) لما نبه على المعين الذي ينهل منه الصوفية سائر معارفهم وفي مقدمتها معرفة الله تعالى جل شأنه، وذلك لما قال: "إن الله تعالى عرفنا نفسه بنفسه، ودلنا على معرفة نفسه بنفسه".(١٤٥)

فالعقل بهذا قادر على الوصول إلى الحقائق والمعارف الكلية المجردة، ويلعب دوراً أساسياً في التصورات والتصديقات، وهو ما دفع ابن عربي إلى اعتباره منة الله التي وهبها للإنسان يدلنا على هذا قوله "الحمد لله واهب العقل ومبدعه وناصب العقل ومشرعه"(١٤٦).

لكن الخطأ يكمن في طلب المعارف الإلهية من غير طريق الله والقلب وهو الطريق الآمن الموثوق به لدى الصوفية، لأن مصدره إلهي يقيني، وعلى هذا فالعقل متى تهذب وعقل نفسه عرف أنه من حيث قوته المفكرة لا سبيل له إلى اليقين في مسائل بعينها، فإذا أعرض وتولى إلى القلب مسكن الروح لأنتقش بما فيه من معارف ربانية، فوصل وعلم .لهذا قال تعالى "وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ". [الذاريات:٢١].

لقد قدم الخرقاني للمعرفة صورة بلاغية بديعة ومثيرة للتأمل تكشف عن حقيقة المعرفة بالله وطبيعتها وأداتها عنده عن تجربة وذوق، لما شاء المولى أن يؤتيه إياها، فيقول "إن داخل هذا القلب بحراً، إذا هبت الريح، وجاءت السحاب، وشرعت تمطر، فتمطر عن العرش إلى تحت الثرى"(١٤٧).

فلما وصل الخرقاني إلى المعرفة بالله، ونهل من حضرة الحق تعالى، وتواترت عليه ألطاف الله وأنواره، لم يكلم الخلق إلا بقدر عقولهم، لعلمه إنه إذا كشف لهم الحقائق كما كشفت له، ما صدقوه، ورموه بالجنون، لهذا يقول: "ولو أقول مع الخلق ما عرفت من الله لنسبوني إلى الجنون كما نسبوا النبي صلى الله عليه وسلم"(١٤٨).

وإطلالة على قول الخرقاني تكشف لنا عن حقيقة مهمة وهي أن الأصل في الكشف عن المعارف الربانية، والعلوم اللدنية هو الكتم لا الجهر، فعلوم الصوفية عزيزة ومع شرفها يضن بها على غير أهلها، ولو خرج منهم من يصرح بهذه العلوم لناله ما أصاب بعضهم من الأذى، وربما وصل الأمر إلى سفك الدماء وإهدار الدم، لهذا كان الخرقاني ألمعياً لما قرر ذلك، وهو في هذا يقترب مما صرح به الجنيد من قبله لما ذهب إلى أن الصوفية هم" أهل بيت واحد، لا يدخل فيهم غيرهم"(١٤٩).

ومعنى قول الجنيد كما أفهم أن الصوفية يتحدثون اللغة نفسها، ولهم أحوالهم وأذواقهم التي يعايشونها في طريقهم إلى الله، فحق لهم أن يتحدثوا بها فيما بينهم، لكن الصدح بها عالياً بين بسطاء الناس أمراً غير محمود العواقب، فمن شأن أقوالهم أن توقع البلبة في الدين عند البسطاء، ممن يعز عليهم فهم وقبول ما ينطقون به من معارف دون فائدة ترجى من وراء ذلك.

كما يقترب الخرقاني هنا مع ما ذهب إليه النفري (ت: ٣٥٤هـ) من قبله لما قيد الحكي على لسان أهل الذوق، وقصر علومهم على من كان منهم، وكانت حجته في ذلك تكمن في مصدر معارفهم وهو الله جل شأنه، وهو ما يتكشف من قوله: "وقال لي ما كل عبد يعرف لغتي فتخاطبه، ولا كل عبد يفهم ترجمتي فتحادثه"(١٥٠).

فالوعي بالمصطلح الصوفي كما هو عند الصوفية يستلزم منا أن ننظر إليهم علي أنهم مغلوبون فيها، فقد يقولون أحياناً وهم ليسوا بمعصومين، ولا كذلك الأنبياء، فقد سلطوا على الأحوال فملكوها، فهم يصرفونها لا الأحوال تصرفهم، أما الأولياء فقد سلطت عليهم الأحوال فصرفتهم، لا هم يصرفونها، فللأنبياء التمكين وللأولياء التلوين(١٥١).

(ISSN: 2536 - 9555)

النتائج:

- يعتبر الخرقاني من الصوفية الرمزيين الذين اعتنوا بظاهر الشريعة وباطنها معاً، فحصلوا الفرائض الشرعية الظاهرة جنباً إلي جنب المعني الباطن الكامن خلف الحكم الظاهر والذي لا مناص عنه.
- المحبة عند الخرقاني الركيزة الأساسية التي أقام عليها تجربته الروحية منذ البدء، وهي تقوده بالضرورة إلي توكيد التوحيد، لأنها تنطوي علي محبة المحب لله تعالي لذاته، ويفني فيه عمن سواه، فلا يشهد عندئذ سوي الله وحده.
- المحبة عند الخرقاني هي علة عملية الخلق كلها، فما خلق الله الخلق إلا لمحبته وعبادته وإيثاره عمن سواه، من هنا سبقت المحبة العبادة، وكانت العبودية وامتثال الأوامر الإلهية نتائج وجوبية للمحبة.
- المحبة عند الخرقاني مقام وليست حالاً، وإن كان يشترط فيها إيثار الحق تعالي له.
- تصور الخرقاني للمحبة التامة التي تطلب الله وحده، جعله يتخذ من الجنة والنار موقفاً سلبياً يعد في ذاته شطحه تقترب من شطحات بعض الصوفية كرابعة العدوية والبسطامي علي سبيل المثال.
- الطريق إلي المحبة عند الخرقاني يستدعي بالضرورة الترقي في المقامات والأحوال التي تقاطعت مع بعضها في أحيان كثيرة، وهي نفسها الرياضات والمجاهدات التي يسلكها المريد في طريقه إلي الله، حتي أنه يجعل المحب لله هوالذي يحبه الله فيقصر له الطريق ويمهده.
- –تتبدى أهمية الفناء عند الخرقاني حين يجعله ضرورة لكمال المحبة، وعلامة من علامات المحبين، وهو موصول بالمعرفة وشهود الأحدية في الوقت ذاته، ووسيلة لا بد منها لشهود الحقيقة، لكنه رغم ذلك وسيلة وليس غاية في ذاته، تتبدى إيجابيته فيما يكشف للمحب العارف عن حقيقة كل ما سوى الله مقارنة بوجود الله تعالى ذاته، مما يجعله يتحرر عن كل ما سوى حبيبه.
- اتفق الخرقاني مع عموم الصوفية في خصومتهم مع النفس، وطلب مجاهدتها على الدوام، باعتبارها العدو الأول للمريد في طريقه الي الله، فأكد على طهارة الباطن بما اشتمل عليه من تصفية للنفس عن سفساف

أخلاقها، وتحليها بكل جميل محمود، وإنه لأمر عسير لا يقدر عليه سوى الرجال.

- تقاطعت المقامات لدى الخرقاني، مثل مقام الفقر الذي تداخل مع مقامات الزهد ومجاهدة النفس والعبودية، كما تداخلت العبودية مع مقام التوكل، وهو أمر وراد لدى بعض أهل التصوف، فالفوارق بين المقامات ليست نسباً حسابية صماء، بل التقاطع بينهما قائم في بعض الأحيان.
- –الحزن من أهم المقامات عند الخرقاني، وعلة ذلك تكمن في كونه حملاً ثقيلاً في الطريق إلى الله، لا يطيق الناس حمله، فآثره الخرقاني حتى لا يزاحمه فيه غيره من المريدين.
- يؤكد الخرقاني طوال الوقت على تمسكه بالمرجعية الدينية في تجربته الصوفية، وهو ما يتبدى في تأكيده على ضرورة التمسك بالاتباع التام للنبي– صلى الله عليه وسلم– في القول والفعل بوصفهم ورثته، والوارث يتبع المورث ولا ريب.
- يعد موقف الخرقاني من الكرامة موقفاً معتدلاً يستقيم مع ما جاء في الكتاب والسنة، فهو يقر بها، لكنه يرى الأصل فيها الكتم لا الجهر، بل لا يغتر بها ويعدها في بعض الأحيان مكراً واستدراجاً للولي عليه أن ينتبه له وينجو منه.
- ارتبطت المحبة عند الخرقاني بالسلوك، الذي تجلى بكافة الأخلاق الجميلة، والسمات الطيبة التي يمكن أن يتصف بها الصوفي المحقق، بما انعكس على علاقته بكل من حوله من عباد الله أجمعين بداية من زوجته صاحبة الطبع الغليظ إلى سائر الناس أجمعين.
- توثقت الصلة بين المحبة من جهة، والفناء والمعرفة من جهة أخرى، في علاقة ثلاثية متداخلة، فالعارف بالله عنده هو من احترق بنار شوقه حتى صار رماداً فهبت ريح المحبة عليه فسمع ورأى وذاق وعرف.
- يحتل الفناء مكانة مهمة عند الخرقاني كصوفي محب وعارف بالله، وهو ما نبدى حين جعل التصوف في جوهره لا ينفك عن الفناء، بما انعكس على تعريفاته للتصوف والصوفي.
- تجلت حقيقة المحبة بمقتضياتها عند الخرقاني في نزعته الإنسانية السامية والتي تمثلت في محبته لكل محبي الله– جل شأنه– وشفقته على كل

(ISSN: 2536 - 9555)

خلقه، وهي نزعة إنسانية عالمية تتخطى حواجز الدين والعرق واللون، مما يجعلنا نظن أن الخرقاني يعد كصوفي نموذجاً لما يحققه التصوف من إنسانية عالية قلما نجدها لدى رجال الفكر الإسلامي في جوانبه المختلفة من متكلمين وفلاسفة ورجال دين بوجه عام.

الهوامش:-

١) الهجويري، كشف المحجوب، دراسة وترجمة وتعليق اسعاد عبد الهادي قنديل، مكتبة الإسكندرية، ١٩٧٤م، ص٣٧٨.

٢) ياقوت الرومي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، مجلد ٢، حرف الخاء، ص ٣٦٠، انظر أيضاً الهجويري، كشف المحجوب، ص ٣٧٧، ٧٨، وأيضاً السمعاني، الأنساب، تحقيق عبد الرحمن بن المعلمي اليماني وآخرون، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند، الجزء الخامس، الطبعة الأولي، ١٩٧٧م، ص٩٣، أيضاً الذهبي، سير أعلام النبلاء، الجزء ١٧، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة ١١، ١٩٩٦م، ص٤٢١.

٣) فريد الدين العطار، تذكرة الأولياء، ترجمة محمد الأصيلي الوسطاني الشافعي، تحقيق محمد أديب الجادر، دار المكتبي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سورية، الطبعة الأولي، ٢٠٠٩م، ص ٥٧٣ . القطب هو الواحد الذي هو موضع نظر الله تعالي من العالم في كل زمان وهو علي قلب إسرافيل عليه السلام.الأوتاد هم الرجال الأربعة الذين هم علي منازل الجهات الأربع من العالم أي:الشرق والغرب والشمال والجنوب، بهم يحفظ الله تعالي تلك الجهات لكونهم محال نظره تعالي.البدلاء هم سبعة رجال يسافر أحدهم عن موضع ويترك جسداً علي صورته فيه بحيث لا يعرف أحد انه فقد.انظر عبد الرزاق الكاشاني، معجم اصطلاحات الصوفية، تحقيق وتقديم د.عبد العال شاهين، دار المنار، القاهرة، الطبعة الأولي، ١٩٩٢م، الصفحات، ٥٨، ٦٢، ١٦٢. كان الخرقاني ممدوحاً من أولياء الله في وقته، ويشهد له كل من عرفه أو وصل أمره إليه من أهل زمانه، فتحكي كتب المصادر عن زيارة أبي سعيد بن أبي الخير له ومكوثه عنده بضع ليال، وقال حسن بن المؤدب خادم أبو سعيد أنه عندما التقاه كان منصتاً للخرقاني طوال الوقت، فسأله:"أيها الشيخ لم صمت هكذا؟ فلم يجب بغير كلمة واحدة هي كفي".انظر في ذلك الهجويري، كشف المحجوب، ص ٣٧٧، وكذلك فعل مع القشيري، فقد روي عنه قوله لما بلغ خرقان" انتهت فصاحتي وزالت عبارتي من حشمة ذلك الشيخ"، انظر الهجويري، كشف المحجوب، ص ٣٧٨. الأمر عينه يحصل مع الشيخ الرئيس ابن سينا (ت:٤٢٧ هجرية) الفيلسوف الذي سمع عنه فقصده ليتبين حاله، ولما سألته زوج الخرقاني عن سبب تحمله مشقة السفر وطلب لقائه، أجاب: لا غني لي عن صحبته، انظر في ذلك فريد الدين العطار، تذكرة

الأولياء، ص ٥٧٨. واللافت للنظر المكانة العلية التي حاز عليها الخرقاني في قلب السلطان محمود وهو الممثل للسلطة السياسية الحاكمة في ذلك الوقت، إذ يعد الخرقاني بمثابة الاستثناء من القاعدة– كما أظن– فالغالب علي شيوخ الصوفية توتر علاقتهم بحكام عصرهم، حتي وصل الأمر إلي ملاحقتهم وتعذيبهم بل وإهدار دمهم، وتاريخ الصوفية الطويل يشهد علي لك، مما يؤكد ما سبق قوله من محبة وتبجيل الخرقاني لدي كل من عرفه، يستوي في هذا أهل الطريق مع غيره.انظر فريد الدين العطار، ص ٥٨١. أما عن تلاميذه فقد ذكرت كتب التراجم بعض التلاميذ مثل: الشيخ فضل بن محمد فارمدي، المعروف ب أبو علي فارمدي(ت:٤٧٧ هجرية) كان من شيوخ الصوفية الكبار، وهو من مواليد فارمد وتوفي في طوس، والشيخ أبو اسماعيل عبد الله الهروي(ت: ٤٨١ هجرية) هو من شيوخ خراسان وصاحب كتاب نازل السائرين الذي شرحه وعلق عليه ابن قيم الجوزية في كتاب أسماه مدارج السالكين، وكتاب ذم الكلام وأهله.أما عن مؤلفات الخرقاني فلا يوجد بين أيدينا اليوم مصنفات له، وما نعرفه عنه هو ما جاء في كتب تراجم شيوخ الصوفية وفي مقدمتها الترجمة الماتعة التي قدمها فريد الدين العطار في كتابه تذكرة الأولياء، غير أن بعض المصادر ذكرت أسماء مؤلفات ونسبتها للخرقاني ولم نجدها، وأغلب الظن أنها فقدت، منها: أسرار السلوك في آداب الطريق، رسالة الخائف من لومة اللائم، في أصول التصوف، كتاب فوائح العلوم.أما عن الخرقاني ونسبته الصوفية، فهو ينتمي إلي الطريقة النقشبندية في التصوف، حيث ذكر صاحب رشحات عيت الحياة سلسلة أكابر الطريقة النقشبندية وذكر الخرقاني كأحد هؤلاء الأكابر، وقد أطلق اسم نقشبندية عليهم من قبل بهاء الدين نقشبند بينما كانت تسمي قبل ذلك بسطامية وطيفورية نسبة إلي أبي يزيد البسطامي وقبله كانت تسمي صديقية، ولأن الخرقاني كان قد تربي علي إرادة البسطامي بحسب الباطن والروحانية، لا بحسب الظاهر والصورة، فهو بهذا يدخل ضمن سلسلة الطريقة النقشبندية الصوفية. انظر في ذلك الواعظ الهروي، رشحات عين الحياة، ص ١٠.

٤) جلال الدين الرومي، المثنوي، الدفترالرابع، ترجمة إبراهيم الدسوقي شتا، تقديم العلامة بديع الزمان فروزانفر، شركة الثقافة، بلدية قونية، ص١٠٠.يعد الخرقاني واحداً من الشيوخ الأويسيين، وهم علي قسمين:هناك بعض أولياء الله الصالحين ممن سلك طريق التصوف في ابتداء إرادتهم يتلقون تعليمهم مباشرة عن النبي– صلي الله عليه وسلم– بلا واسطة، فيكونوا بهذا في غني عن شيوخ الظاهر البشريين، لأن النبي"يربيهم في حجر العناية كما ربي أويس القرني، انظر في هذا الجامي، نفحات الأنس، ص٣٧، ٣٨، وهذا المقام الشريف يطلق عليه الأويسية يؤتيه الله لمن شاء من عباده المخلصين، وهناك أيضاً بعض الشيوخ الكمل الذين ساروا علي طريق الشرع والتزموا الإتباع الكامل للنبي–صلي الله عليه وسلم– وسنته، فكانت لهم القدرة علي تربية بعض المريدين تربية روحية، من هؤلاء أبي

(ISSN: 2536 - 9555)

القاسم الجرجاني، والطوسي، ونجم الدين كبري، والشيخ أبي سعيد بن أبي الخير، وغيرهم.كل هؤلاء الشيوخ الأجلاء بالإضافة إلي الخرقاني كانوا من الشيوخ الأويسيين، وقد سمي بذلك نسبة إلي أويس القرني، وكان" ذكرهما في بدية حالهما علي الدوام أويس أويس"، بناء علي ذلك؛ يعد الخرقاني أحد هؤلاء الأويسيين بوصفه قد تعلم الحديث وسمعه عن الرسول–صلي الله عليه وسلم– مباشرة بدون وسائط وهو ما يدل عليه كلام الخرقاني نفسه، الذي يحكي عن أحد الرجال وقد شاوره في سفره إلي العراق بقصد تعلم علم الحديث، فصده الخرقاني عن ذلك، لأن في خرقان من هو أعلي في العلم مما قد يجده لدي اهل العراق، وهو ما تحفظ عليه الرجل طالب العلم، فسأله" ممن أخذت الحديث؟ فأجاب: سمعت من الرسول واخذت منه".انظر فريد الدين العطار، تذكرة الأولياء، ص٥٧٦، ٥٧٧.

٥) فريد الدين العطار، تذكرة الأولياء، ص٥٩٦.
٦) نفسه، ص ٥٧٤ .
٧) نفسه، ص ٥٧٧، ٥٧٦.
٨) نفسه، ص ٥٨٧ .
٩) نفسه، ص ٥٨٦.
١٠) فريد الدين العطار، تذكرة الأولياء، ص ٥٨٩.
١١) المصدر السابق، ص٥٩٠ .
١٢) الحلاج، الأعمال الكاملة، قاسم محمد عباس، رياض الريس للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الأولي، مارس ٢٠٠٢م، ص ٢٣٧ .
١٣) العطار، تذكرة الأولياء، ص ٥٩٨ فريد الدين .
١٤) المصدر السابق، الصفحة نفسها.
١٥) المحاسبي، الرعاية لحقوق الله، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة، بدون تاريخ، ص ٣٤.
١٦) فريد الدين العطار، تذكرة الأولياء، ص ٥٨٤ .
١٧) المصدر السابق، ص ٦٠٢).
١٨) المصدر السابق، ص ٥٩٩، ٦٠٠، الحديث رواه البيهقي في شعب الإيمان ٢٥٣/٢.
١٩) نفسه، ص ٦٠٥
٢٠) نفسه، ص ٦٠٥
٢١) نفسه، ص ٥٩١
٢٢) فريد الدين العطار، تذكرة الأولياء، ص٥٩٢
٢٣) نفسه، ص ٥٨٦
٢٤) نفسه، ص٥٨٩

٢٥) محمد بن محمد الحسيني الزبيدي الشهير بمرتضي، اتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، ج٩، ص ٥٧٦
٢٦) السلمي، طبقات الصوفية، تحقيق نور الدين شريبه، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٨٦م، ص ٧٠
٢٧) فريد الدين العطار، تذكرة الأولياء، ص٥٩٢
٢٨)المصدر السابق، ص ٥٩٩
٢٩) ابن عربي، الفتوحات المكية، تحقيق عبد العزيز سلطان المنصوب، الجزء الخامس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة الأولي، ٢٠١٣م، ص ٥٩٩، الحديث المذكور– حديث الكنزية– ذكره الشيباني في تمييز الطيب من الخبيث فيما يدور علي ألسنة الناس من الحديث، ص١٢٢، وهو حديث ليس له سند صحيح ولا ضعيف، وقال العجلوني هذا الحديث في كشف الخفاء برقم ٢٠١٦ حديث موضوع واعتبره ابن تيمية من الاسرائيليات.
٣٠) فريد الدين العطار، تذكرة الأولياء، ص ٥٩٥
٣١) أبوطالب المكي، قوت القلوب في معاملة المحبوب، حققه وقدم له د. محمود إبراهيم محمد الرضواني، الجزء الثاني، مكتبة دار التراث، القاهرة، الطبعة الأولي، ٢٠٠١م، ص ١٠٤١
٣٢)فريد الدين العطار، تذكرة الأولياء، ص ٥٩١
٣٣)المصدر السابق، ص ٦٠١
٣٤)المصدر السابق، الصفحة نفسها
٣٥)نفسه، ص ٥٧٤
٣٦) نفسه، ص٥٩٧
٣٧) نفسه، نفس الصفحة
٣٨) فريد الدين العطار، تذكرة الأولياء، ص ٦٠٥
٣٩) المصدر السابق، ص ٦٠٢
٤٠)المصدر السابق، ص٥٩٧
٤١) المصدر السابق، ص ٦٠٧
٤٢)نفسه
٤٣)فريد الدين العطار، تذكرة الأولياء، ص٥٩٠
٤٤)المصدر السابق، ص ٥٨١
٤٥)المصدر السابق، ص٥٩٦
٤٦) المصدر نفسه
٤٧)نفسه، ص٥٨٧
٤٨)عبد الرحمن جامي، نفحات الأنس من حضرات القدس، ص ٢١
٤٩)فريد الدين العطار، تذكرة الأولياء، ص ٥٨١

(ISSN: 2536 - 9555)

٥٠)المصدر السابق، ص ٥٩١
٥١)المصدر السابق، ص ٥٧٥
٥٢)المصدر السابق، ص ٥٨٤
٥٣)نفسه، ص ٥٧٣
٥٤)نفسه، ص ٥٧٨
٥٥)فريد الدين العطار، تذكرة الأولياء، ص ٥٨٩، لذا قال صلي الله عليه وسلم:إن الله يحب كل قلب حزين، رواه الحاكم في المستدرك علي الصحيحين كتاب الرقاق، حديث رقم(٧٨٨٤)(٤/ ٣٥١) و البيهقي في شعب الإيمان حديث رقم(٨٩٢)(١/ ٥١٥).
٥٦)المصدر السابق، ص ٩٠
٥٧)المصدر السابق، ص ٦٠١
٥٨)المصدر السابق، ص ٦٠٢
٥٩)المصدر السابق، ص٥٩٩
٦٠)الواعظ الهروي، رشحات عين الحياة، تعريب الشيخ محمد مراد بن عبد الله القازاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولي، ٢٠٠٨م، ص٣٥
٦١)فريد الدين العطار، تذكرة الأولياء، ص ٥٩٢
٦٢)المصدر السابق، ص ٥٩٩
٦٣)المصدر السابق، ص ٦٠٦
٦٤)الواعظ الهروي، رشحات عين الحياة، ص ٣٥
٦٥)فريد الدين العطار، تذكرة الأولياء، ص ٦٠١
٦٦)المصدر السابق، ص ٦٠٢
٦٧)المصدر السابق، ص ٦٠٦
٦٨)المصدر السابق، الصفحة نفسها
٦٩)نفسه، ص٥٩١
٧٠)نفسه، ص٦٠٥
٧١)فريد الدين العطار، تذكرة الأولياء، ص ٥٩٢
٧٢)القشيري، الرسالة القشيرية في علم التصوف، دارالمقطم للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولي، ٢٠١٤م، ص ٢٩١
٧٣)المرجع السابق، ص ٢٩٠
٧٤)فريد الدين العطار، تذكرة الأولياء، ص ٦٠٦
٧٥)المصدر السابق، ص ٦٠٢
٧٦)المصدر السابق، ص ٦٠٨

٧٧) الميهني، أسرار التوحيد في مقامات أبي سعيد، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ترجمة إسعاد عبد الهادي قنديل بدون تاريخ، ص ٣٤١
٧٨)فريد الدين العطار، تذكرة الأولياء، ص ٥٩١
٧٩)المصدر السابق، ص ٥٩٢
٨٠)المصدر السابق، ص ٥٩٤
٨١)نفسه، ص ٦٠٢
٨٢)نفسه
٨٣)فريد الدين العطار، تذكرة الأولياء، ص ٥٩٢
٨٤)المصدر السابق، ص ٥٩٩
٨٥)المصدر السابق، الصفحة نفسها.
٨٦)أبو طالب المكي، قوت القلوب، ص٤١٥
٨٧)الغزالي، إحياء علوم الدين، كتاب المحبة والشوق والأنس والرضا، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، الطبعة الأولي، ٢٠٠٥م، ص١٦٥٦
٨٨)عبد الرحمن جامي، نفحات الأنس، ص ٩٥، ٩٦
٨٩)فريد الدين العطار، تذكرة الأولياء، ص٥٩٣
٩٠)المصدر السابق، ص٦٠٠
٩١)المصدر السابق، ص ٥٧٦
٩٢)نفسه، ص ٥٩٧
٩٣)نفسه، ص٥٧٥
٩٤)الطوسي، اللمع، ص٤٠٠
٩٥)المرجع السابق، الصفحة نفسها
٩٦)فريد الدين العطار، تذكرة الأولياء، ص٥٨٦
٩٧)المصدر السابق، ص٥٩٠
٩٨)المصدر السابق، ص٦٠٢
٩٩)البسطامي، المجموعة الصوفية الكاملة، يليها كتاب تأويل الشطح، تحقيق قاسم محمد عباس، دار المدي للثقافة والنشر، سورية، الطبعة الأولي، ٢٠٠٤م، ص ٦٧
١٠٠) فريد الدين العطار، تذكرة الأولياء، ص٦٠٧
١٠١) المصدر السابق، ص ٥٩٠
١٠٢) المصدر السابق، ص٥٩٨
١٠٣) نفسه، ص ٥٩٣
١٠٤) نفسه
١٠٥) فريد الدين العطار، تذكرة الأولياء، ص ٦٠٥

(ISSN: 2536 - 9555)

106) Thurman: Mysticis and the experience of love, New York, 1979. p.13 Howard.

١٠٧) فريد الدين العطار، تذكرة الأولياء، ص ٥٧٩
١٠٨) الواعظ الهروي، رشحات عين الحياة، ص ١٥
١٠٩) فريد الدين العطار، تذكرة الأولياء، ص ٥٩٩
١١٠) الواعظ الهروي، رشحات عين الحياة، ص ١٥
١١١) السهلجي، النور من كلمات أبي يزيد بن أبي طيفور، ضمن نصوص نشرها د.عبد الرحمن بدوي في كتابه شطحات الصوفية، ص٩١
١١٢) فريد الدين العطار، تذكرة الأولياء، ٥٨٤
١١٣) القشيري، الرسالة القشيرية، ٣٨٢
١١٤) فريد الدين العطار، تذكرة الأولياء، ص ٥٩٣
١١٥) المصدر السابق، ص ٥٨٨
١١٦) المصدر السابق، ص ٥٩٣
١١٧) المصدر السابق، ص ٦٠٤
١١٨) نفسه
١١٩) جلال الدين الرومي، المثنوي، الدفتر الثاني، ترجمة الدسوقي شتا، تقديم العلامة بديع الزمان فروزانفر، بلدية قونيا، بدون تاريخ، ص ٨٦

120) Eric Geooffroy: Introduction to Sufism: The Inner path of Islam, 2010, World Wisdom, Inc,p.3

١٢١) فريد الدين العطار، تذكرة الأولياء، ص ٦٠٥
١٢٢) المصدر السابق، ص ٥٨٧
١٢٣) المصدر السابق، ص ٦٠٥
١٢٤) عبد الكريم بن إبراهيم الجيلاني، الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل، ج١، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده، مصر، بدون تاريخ، ص ١٠
١٢٥) فريد الدين العطار، تذكرة الأولياء، ص ٥٨٦
١٢٦) المصدر السابق، ص ٥٨٩
١٢٧) المصدر السابق، ص ٥٩٧
١٢٨) القشيري، الرسالة القشيرية، ص ٤٢٠
١٢٩) فريد الدين العطار، تذكرة الأولياء، ص٥٩٥
١٣٠) المصدر السابق، ص ٦٠٥
١٣١) المصدر السابق، ص ٦٠٦
١٣٢) نفسه

١٣٣) فريد الدين العطار، تذكرة الأولياء، الصفحات ٥٨٤، ٥٨٥
١٣٤) المصدر السابق، ص٥٨٦
١٣٥) المصدر السابق، ص٥٩٠
١٣٦) الحلاج، بستان المعرفة ضمن الأعمال الكاملة، تحقيق قاسم محمد عباس، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولي، ٢٠٠٠م، ص ٢٣٧
١٣٧) فريد الدين العطار، تذكرة الأولياء، ٥٩٥
١٣٨) القاضي عبد الجبار بن أحمد، شرح الأصول الخمسة، حققه وقدم له الدكتور عبد الكريم عثمان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٩م، ص ٨٨
١٣٩) محمد صالح محمد السيد، الله والعالم عند المعتزلة، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، الطبعة الأولي، ٢٠٢٢م، ص١٢٧
140) Evelyn underhill: Mysticism, Astudy in nature and the development of mans spiritual consciousness, London,2003, p.318
١٤١) الميهني، أسرارالتوحيد في مقامات أبي سعيد، ص ٣٤٢
١٤٢) أحمد الجزار، المعرفة عند أبي سعيد بن أبي الخير، منشأة المعارف، الإسكندرية، ٢٠٠٠م، ص ٥٠
١٤٣) شهاب الدين السهروردي، رسالة صغير سيمرغ، ضمن الرسائل الصوفية، ترجمة وتعليق عادل محمود بدر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٧م، ص ٨٢
١٤٤) الكلاباذي، التعرف لمذهب أهل التصوف، نشر لأول مرة بتصحيح الأستاذ أرثرجون أربري، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٩٤م، ص٣٧
١٤٥) الحلاج، بستان المعرفة، ضمن الأعمال الكاملة، ص ٢٤٦
١٤٦) ابن عربي :رسالة الأنوار فيما يتجلى لصاحب الخلوة من الأسرار، تحقيق عبد الرحمن حسن محمود، مكتبة عالم الفكر، الطبعة الأولي، مصر، ١٩٨٦م، ص٩
١٤٧) فريد الدين العطار، تذكرة الأولياء، ص ٥٨٥
١٤٨) المصدر السابق، ص ٥٨٦
١٤٩) القشيري، الرسالة القشيرية، ص ٣٨١
١٥٠) النفري، كتاب المواقف، عناية وتصحيح أرثر يوحنا أربري، مكتبة المتنبي، القاهرة، الطبعة الأولي، بدون تاريخ، ص ٤
١٥١) أحمد محمود الجزار، نجاة سعد، دراسات في التصوف الإسلامي، قضايا وشخصيات، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، الطبعة الأولي، ٢٠٢٢م، ص٢٩

(ISSN: 2536 - 9555)

المصادر والمراجع

أولاً– المصادر والكتب العربية القديمة:

١. ابن عربي، رسالة الأنوار فيما يتجلى لصاحب الخلوة من الأسرار، تحقيق عبد الرحمن حسن محمود، مكتبة عالم الفكر، الطبعة الأولي، مصر، ١٩٨٦م.

٢. ابن عربي، الفتوحات المكية، تحقيق عبد العزيز سلطان المنصوب، الجزء الخامس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة الأولي، ٢٠١٣م.

٣. البسطامي، المجموعة الصوفية الكاملة، يليها كتاب تأويل الشطح، تحقيق قاسم محمد عباس، دار المدي للثقافة والنشر، سورية، الطبعة الأولي، ٢٠٠٤م.

٤. الحلاج، بستان المعرفة ضمن الأعمال الكاملة، تحقيق قاسم محمد عباس، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولي، ٢٠٠٢م.

٥. الحلاج، الأعمال الكاملة، قاسم محمد عباس، رياض الريس للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الأولي، مارس ٢٠٠٢م .

٦. الذهبي، سير أعلام النبلاء، الجزء ١٧، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة ١١، ١٩٩٦م .

٧. السمعاني، الأنساب، تحقيق عبد الرحمن بن المعلمي اليماني وآخرون، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند، الجزء الخامس، الطبعة الأولي، ١٩٧٧م.

٨. السلمي، طبقات الصوفية، تحقيق نور الدين شريبه، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٨٦م.

٩. السهلجي، النور من كلمات أبي يزيد بن أبي طيفور، ضمن نصوص نشرها د.عبد الرحمن بدوي في كتابه شطحات الصوفية، الجزء الأول، وكالة المطبوعات، الكويت، بدون تاريخ.

١٠. الغزالي، إحياء علوم الدين، كتاب المحبة والشوق والأنس والرضا، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، الطبعة الأولي، ٢٠٠٥م.

١١.القاضي عبد الجبار بن أحمد، شرح الأصول الخمسة، حققه وقدم له الدكتور عبد الكريم عثمان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٩م.
١٢.القشيري، الرسالة القشيرية في علم التصوف، دارالمقطم للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولي، ٢٠١٤م.
١٣.الكلاباذي، التعرف لمذهب أهل التصوف، نشر لأول مرة بتصحيح الأستاذ أرثرجون أربري، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٩٤م.
١٤.المحاسبي، الرعاية لحقوق الله، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة، بدون تاريخ.
١٥. الميهني، أسرار التوحيد في مقامات أبي سعيد، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ترجمة إسعاد عبد الهادي قنديل بدون تاريخ.
١٦.النفري، كتاب المواقف، عناية وتصحيح أرثر يوحنا أربري، مكتبة المتنبي، القاهرة، الطبعة الأولي، بدون تاريخ.
١٧.الهجويري، كشف المحجوب، دراسة وترجمة وتعليق اسعاد عبد الهادي قنديل، مكتبة الإسكندرية، ١٩٧٤م.
١٨.الواعظ الهروي، رشحات عين الحياة، تعريب الشيخ محمد مراد بن عبد الله القازاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولي، ٢٠٠٨م.
١٩.جلال الدين الرومي، المثنوي، الدفتر الثاني، ترجمة الدسوقي شتا، تقديم العلامة بديع الزمان فروزانفر، بلدية قونيا، بدون تاريخ.
٢٠.جلال الدين الرومي، المثنوي، الدفترالرابع، ترجمة إبراهيم الدسوقي شتا، تقديم العلامة بديع الزمان فروزانفر، شركة الثقافة، بلدية قونية – بدون تاريخ.
٢١.شهاب الدين السهروردي، رسالة صغير سيمرغ، ضمن الرسائل الصوفية، ترجمة وتعليق عادل محمود بدر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٧م.
٢٢.عبد الرزاق الكاشاني، معجم اصطلاحات الصوفية، تحقيق وتقديم د.عبد العال شاهين، دار المنار، القاهرة، الطبعة الأولي، ١٩٩٢م.

(ISSN: 2536 - 9555)

٢٣.عبد الرزاق الكاشاني، معجم اصطلاحات الصوفية، تحقيق وتقديم د.عبد العال شاهين، دار المنار، القاهرة، الطبعة الأولي، ١٩٩٢م.
٢٤.فريد الدين العطار، تذكرة الأولياء، ترجمة محمد الأصيلي الوسطاني الشافعي، تحقيق محمد أديب الجادر، دار المكتبي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سورية، الطبعة الأولي، ٢٠٠٩م.
٢٥.ياقوت الرومي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، مجلد ٢، بدون تاريخ.

ثانياً- الكتب والمراجع العربية الحديثة:

٢٦.أحمد محمود الجزار، المعرفة عند أبي سعيد بن أبي الخير، منشأة المعارف، الإسكندرية، ٢٠٠٠م.
٢٧.أحمد محمود الجزار، نجاة سعد، دراسات في التصوف الإسلامي، قضايا وشخصيات، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، الطبعة الأولي، ٢٠٢٢م.
٢٨.محمد صالح محمد السيد، الله والعالم عند المعتزلة، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، الطبعة الأولي، ٢٠٢٢م.

ثالثاً- المراجع الأجنبية:

32- Eric Geooffroy: Introduction to Sufism: The Inner path of Islam, World Wisdom,2010
33- Evelyn underhill: Mysticism, Astudy in nature and the development of mans spiritual consciousness, London, 2003.
34- Howard Thurman: Mysticism and the experience of love, New York, 1997.